روايات مصرية للجيب

سلة الروايات

9

Looloo
www.dvd4arab.com

# الأعرج

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

# مقدمة قصيرة حمقاء !

صباح الخير ..

هاهى ذى ( نسرين الجبالى ) الصحفية الناشئة التى تصبو إلى النجومية فى عالم الكلمة المطبوعة تهبط فى مطار ( سلة الروايات ) ، على متن طائرة روايتها الثالثة !

ترى هل أوحشتكم ؟! هل افتقدتموها ؟! هل بحثتم عن روايتها هى بالذات وسط أكوام الكتب والروايات عند المكتبة أو بائع الصحف ؟!

أم أنه ما زال حلمًا بعيد المنال ؟!

عمومًا هأنذا أعود حاملة لغزى الدائم المكون من حرف أبجدى واحد يحتل عنوان السلسلة ..

( س ) ..

أو السيد ( س ) ..

هل أنتم مستعدون لخوض مجاهل ما بين الدفتين ؟! هل حملتم كشافات النور وحقيبة المعسكرات استعدادًا للسير وسط ظلمات الغموض الدامسة ؟! هل حواسكم مستنفرة ؟! وعقولكم متحفزة للبداية ؟!

ليكن ، لن أطيل عليكم أكثر من هذا ، فما زالت كراهيتى لكتابة وقراءة مقدمات الكتب تفرض نفسها علىّ ، وما زلت لا أرى منى فائدة للمقدمة سوى ( حرق ) موضوع الكتاب على القارئ المسكين الذى ارتضى شراءه لوجه الثقافة أو التسلية ، أو كليهما معًا ، والنتيجة النهائية التى يفرضها علىّ خيالى المريض هى حفل يشرب فيه الناشر والمؤلف نخب نجاح المؤامرة على هذا القارئ ، وهما يضحكان حتى تظهر نواجذهما !

ونفس هذا الخيال المريض هو ما دعا تمردى للتحالف مع قلمى المشاغب ، فوجدت نفسى ـ مع اضطرارى لكتابة المقدمة إرضاء لرواد الكلاسيكية العتيدة ـ أضع إلى جوارها النعتين المستفزين .. قصيرة .. وحمقاء !

وهأنذا أبدأ ، دون مزيد من الإطالة ..

★ ★ ★



# القسم الأول

# تهديد !

(ظامئ للانتقام
ظمأ يشبه عطش رمال الصحراء ..
لقطرة دم !)

## سـارة حمدى

صحفية شابة تكشف لـ ( الأربعاء ) أسرار جريمة

# قتيلى مسرح الجامعة

من هو السيد ( س ) ؟! وما علاقته بالجريمة ؟!

حدقت السيدة ( ألفت ) ـ رئيسة تحرير الجريدة ـ بعينيها الضيقتين ، من خلف عويناتها الطبية الدقيقة فى التحقيق المنشور على صفحة كاملة بالصور والعناوين الصارخة ، والذى يستقر أسفله توقيعى فى بنط معقول ، ثم وضعت نسخة الجريدة الأسبوعية أمامها على سطح المكتب الضخم ، وقالت لى فى ابتسامة يفوح منها عبق أمومة حرمت منها وأنا طفلة :

ـ مبروك يا ( نسرين ) ، إنه موضوعك الثالث على ما أظن !

يتيمة أنا منذ كنت بالمهد رضيعة ، لذا تعاملنى جميع النساء كابنة لم تنجبها أى منهن ..



ـ انه كذلك بالفعل ..

قلتها وبسمة متواضعة لا ينقصها الخجل ترتسم على شفتى الرفيعتين ، وعجبت لتلك النبرة الرقيقة التى قلما توافرت فى حنجرتى الزاعقة على الدوام ..

ـ لقد لاقى استحسانًا لا بأس به إطلاقًا من قبل القراء ، ومنذ الأمس والرسائل والفاكسات والمكالمات الهاتفية تنهال علينا إما مبدية إعجابها ، أو متسائلة فى تشكك عن مدى مصداقية حكاية السيد ( س ) هذا !

أوغر الاحتمال الثانى صدرى قليلاً ، لكنى لذت بالصمت لم أجد ما يقال ، بينما غمغمت السيدة ( ألفت ) كأنها تناجى نفسها بصوت مسموع :

ـ السيد ( س ) !

ثم إنها نظرت إلى متابعة :

ـ أتعلمين أنه مادة خام رائعة لبطل شعبى من الدرجة الأولى ؟!

امتلأت بالزهو والنشوة ، وكاد لسانى يفلت منى لأقول « ألم يكن هذا رأيى منذ البداية ؟! » لكن تأدبى منعنى فى اللحظة الأخيرة ، عمومًا يكفينى اعترافها الضمنى بخطأ تقديرها عندما قالت انه يصلح مادة لسلسلة أدبية أنيقة «ما زالت تلح على فكرى حتى الآن » ، واعترافها الصريح بصلاحيته للظهور على صفحات الجريدة ، ليأخذ مكانته الصحيحة فى قلوب الناس الذين أحبوه وارتبطوا به من أول موضوع !

التزمت الصمت من جديد ، راسمة على شفتى بسمة معناها « تلميذتك يا سيدتى » ، بينما رفعت هى نسخة الجريدة ، أمامها من جديد ، لتقول محدقة فى الأعمدة المتراصة :

ـ أسلوبك فى تناول القصة أعجب الناس ، إنه نادر فى الصحافة العربية كلها ، يميل للاستفزاز الساخر لدى محررى صحف ( بريطانيا ) الأسبوعية ، ومع الصور



الواضحة والإثارة التى حملتها الكلمات دون تكلف أو افتعال اكتسب الأمر تفردًا ميزه عما تنشره باقى الصحف الأخرى ، ثم السيد ( س ) هذا ..

ثم إنها سألتنى مباشرة دون أن تمنحنى فرصة التفكير فيما ستقول :

ـ أهو شخصية حقيقية يا ( نسرين ) ؟!

دق قلبى فى عنف كطبول حرب قبيلة إفريقية ، وحرت جوابًا ، قبل أن أهز كتفى فى النهاية وأنا أقول محاولة انتقاء ألفاظى :

ـ لا أعرف يا سيدتى ، لا أحد يعرف ، وهذا هو سر تفرد الموضوع وتميزه !

ـ ولماذا يظهر لك أنت بالذات ؟!

أجبتها فى جدية :

ـ ربما كان فى الأمر سر ستكشف عنه الأيام بنفسها يا سيدتى .

وأضفت سؤالى الأبدى الخالد :

ـ من يدرى ؟

للمرة الألف عادت السيدة ( ألفت ) تجول بعينيها بين السطور ، وهى تتنهد ، ربما كانت تسأل نفسها : كيف سمحت لطفلة كهذه أن تنشر موضوعًا بمساحة صفحة كاملة لا يظفر بها رئيس تحرير أحيانًا ؟! لكنى كنت أعرف ـ تمام المعرفة ـ أنها قد تأثرت به ، وأن آلاف القراء سيتأثرون به كذلك ، وأن هذا التحقيق بالذات سيكون نقطة تحول فى مشواره الصحفى الذى لم يكد يبدأ ..

وعلى الرغم منى ، وجدت أضواء الـ ( فلاش باك ) ، تومض وتنطفئ فى أعماقى ، ووجدت ذاكرتى تسحبنى على الفور إلى ( سارة حمدى ) ..

لقد كانت هذه الفتاة الباهرة الجمال إلى حد لا يصدق هى بداية القصة الحقيقية ..

★ ★ ★



ـ انظرى ، هذه هى ( سارة حمدى ) التى حدثتك عنها الأسبوع الماضى ..

قالتها ( شيماء رويتر ) وبقايا البسكويت تتناثر من فمها المحشو به ، لصديقتنا ( رحاب ) التى كانت ترشف من كوب الشاى أمامها ، على تلك المنضدة أمام كافيتريا الكلية ، والتى قالت على الفور فى ضجر :

ـ لقد حدثتنى عنها بما يكفى ، أعتقد أن ( نسرين ) ستكون سعيدة بسماع ما لديك ..

وضعت زجاجة المياه الغازية أمامى ، ونظرت إلى حيث أشارت ( شيماء ) بأصابعها البدينة ، كانت فتاة شقراء ، ينسدل شعرها كشلال من التبر فوق ظهرها ، يحجب عينيها المنظار الشمسى الأنيق ، وترتدى ثيابًا عصرية يغلب عليها السواد ، وكانت تقترب من الكافيتريا التى نجلس فيها بخطوات سريعة واثقة ..

والحق أنها لفتت نظرى ـ بجمالها الفائق وأناقتها المفرطة ـ قبل أن تشير إليها ( شيماء ) ، لكنى تعاليت عن السؤال ـ أو حتى مجرد الإشارة إليها أو الالتفات نحوها ـ بالكبرياء الأنثوى المستقر داخلى وداخل كل فتاة على وجه الكرة الأرضية ، فمهما كانت فاتنة ، مازلت أرى نفسى ـ بشعرى الكستنائى القصير وشفتى الرفيعتين والمنظار الطبى المستقر أمام عينى العسليتين الضيقتين ـ أجمل منها !!!

لم يكن غريبًا أن تلفت أنظار الجالسين جميعهم نحوها ، وأن تخفت الضجة المعهودة الصادرة دومًا من الطلبة الجالسين للترويح عن أنفسهم ، ولولا صوت ( الكاسيت ) العالى القادم من داخل الكافيتريا ، لاستحال المشهد إلى ما يشبه جو القبور ..

وفور غيابها خلف مبنى قريب ، عادت الضجة تسود أعلى من السابق ، وانطلقت ( شيماء ) تمارس هوايتها الأثيرة فى استعراض ما تعرفه عن كل الناس :



ـ إنها طالبة معنا فى ( إعلام ) لكنها فى السنة الأولى ، وهى ملكة جمال الكلية بلا منازع ، إن لم تكن أجمل فتاة على مستوى الجامعة كلها ، أتعلمين أنها تعمل كـ ( موديل إعلانات ) ؟! هل شاهدت إعلان المياه الغازية الشهير ؟! إنها واحدة ممن كن يرقصن على الشاطئ خلف المغنى النجم الذى حول أغنيته العاطفية من هيام بمحبوبته إلى غرام بزجاجة الكولا وبالجوائز المغرية التى تقدم عبر ظهر الغطاء الفارغ !

صمتت لحظة لتلتقط أنفاسها ، ولتحشو فاها بمزيد من البسكويت ، ثم واصلت :

ـ حياتها الخاصة سر حربى تضع أمامه لافتة « ممنوع الاقتراب والتصوير » ، لا أحد يعرف عنها أى شىء ، تظهر يومًا وتختفى عشرة ، تصورى أنه ليس لها أصدقاء أو صديقات فى الكلية ! وبرغم أن ٩٩٪ من شباب الكلية يبتغون خطب ودها وخطف قلبها ، إلا أنها تأنف من مجرد الحديث مع أى شخص ، لكنى أعتقد أن

حبها للنجومية والظهور هو الذى دفعها لقبول البطولة النسائية فى مسرحية الكلية !

عقدت حاجبى متسائلة :

ـ مسرحية ؟؟ أى مسرحية ؟!

تساءلت ( رحاب ) مندهشة :

ـ ألا تعلمين أن مجموعة من طلبة كليتنا يعدون عرضًا مسرحيًا ، وأن بروفاته تجرى منذ شهر تقريبًا على خشبة مسرح الجامعة ؟!

أكره أن أكون آخر من يعلم ، وهاهى ذى ( مروة ) ـ صديقتنا المحجبة ـ تؤكد لى هذا بقولها :

ـ يقولون إنها مسرحية طلابية خالصة ، أعدها عن نص أجنبى ( تامر فوزى ) ..

أيدتها ( شيماء ) بقولها :



ـ هذا صحيح ، الطالب فى السنة النهائية ، وهو من سيتولى إخراجها وبطولتها أيضًا ..

لم أسمع بهذا الاسم من قبل ، ولم تتح لى الأقدار أن أرى هذا الـ ( تامر ) ، لكنى سألت بدافع من الفضول ليس أكثر :

ـ وما موضوع هذه المسرحية ؟!

انطلقت ( شيماء ) تستعرض عضلاتها الإخبارية :

ـ سمعت أنه استوحاها من رواية ( أحدب نوتردام ) لـ ( فكتور هوجو ) ، لكنه مصرها وإن بقيت لغتها عربية فصحى ، وحور فى أحداثها قليلاً ، وغير اسمها الفرنسى هذا بالطبع !

راقت لى الفكرة فنيًا ، وتحفز فضولى ـ الأنثوى أولاً والصحفى ثانيًا ـ لأسأل :

ـ وماذا سماها ؟!

قالت ( شيماء ) وهى تكور غلاف البسكويت وتلقيه فى سلة مهملات مجاورة :

ـ اسم لم أحبه كثيرًا ، لكنه يحمل رؤية ما بكل تأكيد ..

وهزت كتفيها مضيفة :

ـ ( الأعرج ) .. إنه يبدو لـى اسمًا سخيفًا للغاية .. ألست محقة ؟!

★ ★ ★



## ( تامر فوزى )

حتى الرومانسية فى هذا العصر اختلفت إلى حد كبير ..

فى الماضى ، كان الخطيب يصحب خطيبته إلى مطعم فخم ، فيتناولان عشاءً باهظ الثمن على ضوء الشموع وموسيقى ( الكمان ) الحالمة ، هو فى حلة سموكن سوداء كأنه أمير ، وهى برداء وردى طويل هفهاف يتطاير مع مداعبة النسيم ..

الآن ، هأنذا أرتدى بنطالاً من الجينز ومعطفًا صوفيًا ثقيلاً ـ ليقينى من برودة ( ديسمبر ) القارسة ـ أخف الخطى إلى جوار خطيبى ( هشام القاضى ) ـ الذى يرتدى زى العمل الرسمى ـ وهو لمن لا يعلم رائد بالمباحث الجنائية ـ نحو مطعم الوجبات السريعة الشهير لتناول غداء مكونًا من ساندوتشات الهامبورجر والبطاطس المقلية تحت أضواء ( النيون ) والموسيقى الغربية الإيقاعية التى لا تسبب لسامعها إلا الصداع المزمن ..

ناهيك عن حديث الأحبة فى الزمن الغابر ، وحوارنا الذى لا يصلح إلا للنشر فى صفحة الحوادث ، ولمن لا يصدق أسوق هذا الجزء من حديث ( هشام ) :

ـ أثناء معاينة مسرح الجريمة كانت الدماء تلطخ كل شىء : الأرض والسجادة الزرقاء وحتى الحوائط العالية ، وكان وجه القتيل مشوهًا حتى إن الطبيب الشرعى حار فى تحديد ملامحه الأصلية ، وكتب فى تقريره أن المجنى عليه قد ضرب بآلة حادة فى رأسه ثم مثل به فى قسوة شديدة !

كنت مهتمة بما يقول لأقصى حد ، فسألته فى اهتمام :

ـ وهل توصلتم لمعرفة الجانى ؟!

ـ نعم ، وصدقى أو لا تصدقى ، كانت خطيبته !

رفعت حاجبى فى دهشة بالغة ، ولأنه نادرًا ما ينجح فى إثارة دهشتى ، فقد لمحت على قسماته الطفولية بسمة فرح ـ كأنه طفل نجح فى إثارة انتباه من حوله ـ تابع من خلالها وهو يعبث بشاربه الكث الذى يغطى شفته العليا :



ـ حتى الرومانسية فى هذا العصر اختلفت إلى حد كبير يا حبيبتى !

سألته فى حذر :

ـ أهى الغيرة القاتلة مرة أخرى ؟!

ـ نعم .. كيف عرفت ؟!

خاب أملى وانطفأت جذوة اهتمامى بالأمر ، القصة لا تصلح للنشر ، فمنذ خنق ( عطيل ) ( ديدمونة ) فى ختام المسرحية والخبر بارد ـ كأوصالى المرتعدة فى هذا الوقت من ( ديسمبر ) ـ مهما حاول خبراء ومحترفو الفبركة الصحفية إضافة التوابل والفلفل والشطة فوقه ..

استمر ( هشام ) يقص تفاصيل الحادث ، وشردت أنا فى ألف أمر آخر دون أن أحرمه من هزة رأس هنا ، أو عبارات من نوع ( إم م م ) ، ( ثم ماذا ؟! ) ، ( حقيقى ؟! ) هناك ، حتى قطع حوارنا صوت ثالث دخيل لم أسمعه من قبل :

ـ مساء الخير !

التفت أنا و ( هشام ) نحو الواقف أمام طاولتنا مبتسمًا فى ثقة ـ وهو الوصف الوحيد المناسب لبسمته ـ مستندًا بكفيه إلى الكرسى الثالث الشاغر ..

كان طويلاً ، عريض المنكبين ، ممتلئ الجسم فى اتساق ، شعره أسود وطويل ومصفف على الطريقة الإسبانية ، سوالفه طويلة حتى إنها تكاد تبلغ حافة ذقنه السفلى ، ملابسه أقل ما يقال عنها إنها غريبة ، كان يبدو كصعلوك فى شارع أوربى لا ينقصه إلا الجيتار ، برغم جهاز الهاتف المحمول المثبت إلى حزام بنطلونه ، وبرغم السلسلة الفضية اللامعة حول رقبته ، وبرغم عبق العطر الرجالى النفاذ الباهظ الثمن الذى يفوح من وقفته هذه ..

ولكن الأغرب من هيئته ، كان اقتحامه لنا بهذه الصورة ..

ـ آنسة ( نسرين الجبالى ) .. أليس كذلك ؟!

لست مشهورة إلى هذا الحد ، هذا أمر يقينى ، ثم إن ( هشام ) غيور إلى حد التداعى ، وهذا ما يزيد الأمر سوءًا ..



لم يسعفنى الوقت ولا الموقف الحرج لأسأل نفسى عن معنى ما يدور ، وتحليت بأكبر قدر من الاتزان وأنا أجيب هذا الشاب بكل هدوء :

ـ بلى !

كان ( هشام ) ينقل بصره بينه وبينى فى بلاهة بينة ، ولما وجدت حاجبيه ينعقدان فى غضب أكده احمرار وجنتيه ، أيقنت أن الكارثة على وشك الوقوع ، إن لم تكن قد وقعت بالفعل ..

ـ عذرًا على قطع حديثكما ، أنا ( تامر ) .. ( تامر فوزى ) ..

لم يخفف هذا من غضب ( هشام ) ، وإن أصاب الاسم هدفه فى عقلى الباطن ، إن يومًا ليس بالفترة الزمنية الكافية لنسيان اسم ذكر أمامك ..

إنه من حدثتنى عنه صديقاتى أمس بالكافيتريا إبان مرور ( سارة حمدى ) أمامنا ..

ـ نعم ، أنا أعرفك .. أنت بطل ومخرج عرض الكلية المسرحى ( الأعرج ) !

هز رأسه بالإيجاب قائلاً دون أن يبدو على وجهه أو نبرته أى تغير انفعالى :

ـ تمامًا ..

كان ( هشام ) قد بلغ الذروة ، تفصله شعرة مشدودة عن الانفجار وقلب المنضدة فوق رأسى ورأسه ، ولا مفر من محاولة بائسة لتهدئة الشرار الكهربى المنبعث من عينيه الناريتين ..

ـ أقدم لك الرائد ( هشام القاضى ) خطيبى ..

مد ( تامر ) يده نحوه مصافحًا ، وهو يقول فى لياقة ولباقة :

ـ مرحبًا ، واعذرنى إذ لم أكن أعرفك يا سيدى ..

صافحه ( هشام ) مضطرًا ، أشار نحو الكرسى الشاغر قائلاً فى محاولة منه لأن يبدو سمجًا :

ـ تفضل وشاركنا الغداء ..



ـ أشكرك ، لقد تناولت غدائى بالفعل ..

ثم إنه جذب الكرسى ، وتابع وهو يجلس فوقه :

ـ لكنى سأجلس ، ولن آخذ من وقتكما الكثير ..

جرىء زيادة عن اللزوم !

وقد أسرع يخاطبنى قبل أن يتيح لأى منا ـ أنا أو ( هشام ) ـ الفرصة لامتلاك ناصية الحديث :

ـ كل ما كنت أريده هو دعوتك ـ آنسة ( نسرين ) ـ لحضور بروفات المسرحية ، غدًا ، أو فى أى يوم ترغبين ، عدا الجمعة .. إنه إجازة رسمية !

غربى الملامح والتفكير والمظهر والأسلوب ، قاطع وحاسم لا يعطيك مساحة للفرار !

وقد قلت فى شىء من التردد بعدما هضم عقلى ما يقول :

ـ يسعدنى هذا ولكن ..

قاطعنى فى حسم :

ـ أعلم أنك تسألين ـ لا ريب ـ عن السبب ، لنقل إننى أريد استشارتك الفنية فى المسرحية ..

ومن قال لهذا الفتى إننى تلميذة ( سميحة أيوب ) ؟!

قلت أسأله فى ذوق جم :

ـ ولماذا ؟

قاطعنى مرة أخرى :

ـ أعلم أنك ستساءلين : لماذا أنا بالذات ؟! أنا أعلم قطعًا أنك لست تلميذة ( سميحة أيوب ! ) ، لكنك صحفية ، وقد تابعت موضوعيك السابقين فى جريدة ( الأربعاء ) ، ولاحظت أنك تكتبين بحس أدبى رفيع ، والحس الأدبى جزء لا يتجزأ من الحس الفنى ، تختلف المسميات ويبقى جوهر المعنى واحدًا ، وكل ما أريده هو رأيك ـ ولو كمشاهدة عادية متذوقة للفن ـ فيما سترين ..

وأضاف كأنه بلغ أربه من حديثه المستفيض :



ـ ربما اقتنعت بتغطية يوم عرض المسرحية صحفيًا !

هذا إذن ما يريد ! البحث عن الشهرة من خلال الصحافة ، ولكن ..

ـ لست أنا التى ..

قاطعنى للمرة الثالثة بقوله :

ـ أعلم أنك لست من تحدد صلاحية الموضوع للنشر من عدمه ، لكنك لن تخسرى شيئًا بالتجربة ، فربما عثرت على قصة جيدة تستحق النشر ..

كدت أسمع صوت غليان الدم فى عروق ( هشام ) ، والتفت إليه فوجدته يرمقنى بنظرة بشعة ، فما كان منى إلا أن قلت لـ ( تامر ) فى دبلوماسية أرمى بها إلى امتصاص نيران غضب ( هشام ) الملتهبة :

ـ حسن ، سآتى بصحبة إحدى صديقاتى بالتأكيد ..

ـ لا مشكلة ..

قالها ( تامر ) ثم التفت نحو ( هشام ) قائلاً فى لهجة محايدة ما بين الود واللا ود :

ـ وربما أراد الرائد ( هشام ) أن يشرفنا بمقدمه هو الآخر !

قال ( هشام ) فى لهجة جافة كعود من حطب :

ـ شكرًا ، أنا أمقت الفن ، وبالذات المسرح !

يا لطفولته اللعينة !

ـ وجهة نظر أقدرها ، فأنا الآخر أمقت كل ما يمت للشرطة بصلة !

خفت من انفجار الموقف عقب هذا التراشق المفاجئ بالألفاظ ، لكن ( تامر ) أسرع بتدارك الأمر مضيفًا :

ـ اعذرنى يا سيدى ، فليس للمسألة علاقة بأى حساسيات شخصية ، لكنها عقدة قديمة من عهد الطفولة ..

ثم إنه نهض فى خفة ، حانيًا رأسه نصف انحناءة ، وهو يقول :

ـ سعيد بتعرفك يا سيدى .. وسأنتظرك بالمسرح يا آنسة ( نسرين ) .. إلى اللقاء ..



قالها ثم غاب عن أبصارنا فى زحام الرواد ، بينما رفعت أنا عينى نحو ( هشام ) ، وتحليت بأكبر قدر من الاتزان ـ مع قليل من اللامبالاة هذه المرة ـ وأنا أسأله بكل هدوء :

ـ ماذا كنا نقول ؟!

★ ★ ★

# الأعـــرج !

وافقت ( مـروة ) بصعوبة على أن تصحبنى إلى المسرح ، بعد فشلى الذريع مع ( رحاب ) التى أقسمت بأغلظ الأيمان ألا تصحبنى إلى أى مكان فى الكون بعد ما عانت بسببى تجربة الموت فى مغامرتنا السابقة مع ( عين القط ) !

عبثًا حاولت إقناعها أن الأمر يخلو هذه المرة من أناس يقتلون ، أو أحجار كريمة مسروقة ، أو قصاصات ورقية بإمضاءات مبهمة ، لكنها أصرت على موقفها خوفًا على حياتها ، أو ـ فى أحسن الأحوال ـ على حالتها العقلية والنفسية من الانهيار ..

ووافقت ( مروة ) شريطة أن تنتهى من الـ ( سكتش ) الذى حضرت من أجله اليوم خصيصًا ، ووقفت أنا أنتظرها وشريط التسجيل المثبت فى حلق ( شيماء )



صديقتنا الثرثارة يدور لافظًا ما يحمله من معلومات عن ( تامر فوزى ) :

ـ أنت حقًّا محظوظة ، فمنطقة المسرح مضروب حولها منطقة حظر تجوال تكتمًا على تفاصيل العمل الفنى، ولا ( يوسف شاهين ) فى زمانه ! ، لكنى أحسدك حقًّا إذ ستشاهدين ما هو ممنوع علينا رؤيته بأمر السيد المخرج هذا .. هل تعلمين أنه يحمل جواز سفر أمريكيًا ؟! نعم .. إنه أمريكى المولد أمريكى الأم أيضًا ، وقد حصل على الثانوية بنظام الدبلوما الأمريكية ، وفشل فى اختبارات التأهيل لدخول معهد الفنون المسرحية ، وقبلته كليتنا نظرًا لمجموعه المرتفع ، ومع هذا فهو يجتاز العام فى عامين ، حتى إنه تجاوز منتصف العشرينات الآن ولا يزال فى السنة النهائية ( البكالوريوس ) ، ويتردد أنه على خلاف مستديم وجذرى مع والده رجل الأعمال الشهير ( فوزى عطا اللّه ) نظرًا لحبه العميق للفن ، ورفض والده هذا

الحب الفاشل ، لكن هذا الخلاف لم يمنع هذا الأب من شراء ( موبايل ) فخم وسيارة جديدة حمراء لابنه المدله فى عشق المسرح والسينما !

لم تكن لـ ( شيماء ) إلا كلية الإعلام ، يزداد إيمانى بهذا يومًا بعد يوم ، معلوماتها دائمًا حاضرة بغزارة غير طبيعية ، وطريقة عرضها لما تعرف تجبرك على الاستماع إليها ..

ستكون منافسة عتيدة فى بلاط صاحبة الجلالة ، أنا واثقة من هذا !

ولم يمض وقت طويل حتى كنت أتجه مع ( مروة ) نحو المسرح ، وتوقفنا أمام بوابته الخشبية المرتفعة ، التى طرقتها براحتى فى قوة ، حتى انفتحت ليظهر من خلفها وجه نحيل أسمر ، تغزوه التجاعيد والشعيرات البيضاء المتناثرة ، وينتهى بفم واسع ظهرت أسنانه الآيلة للسقوط عندما قال صاحبه :

ـ أفندم !

وتوقفنا امام بوابته الخشبية المرتفعة ، التى طرقتها براحتى فى قوة ، حتى انفتحت ليظهر من خلفها وجه نحيل اسمر ..

تنحنحت قبل أن أقول فى أدب جم :

ـ أريد مقابلة ( تامر فوزى ) من فضلك ..

ـ ممنوع يا آنسة ..

وكاد يغلق البوابة فى وجهى ، لكنى ـ على طريقة رئيس العصابة فى الأفلام الأكشن ـ وضعت قدمى بين الحائط والبوابة ، وكدت أصرخ عندما انحشرت فى المنتصف بينهما ، لكنى آثرت استكمال الدور للنهاية فقلت فى تحد :

ـ لقد دعانى بنفسه ، أخبره أنى ( نسرين الجبالى ) وسترى ..

تأملنى الرجل للحظة ، قبل أن يجد يدًا قد وضعت على كتفه من الخلف ، فتنحى قليلاً عن موقعه ليبرز من خلفه شاب أسمر ، أسود الشعر والعينين ، يبتسم ابتسامة مرحبة وهو يقول :

ـ هذا حقيقى يا عم ( فتحى ) ، إننا ننتظرها لنبدأ البروفات !



ثم أضاف وهو يوسع لى طريقًا للدخول :

ـ مرحبًا يا آنسة ( نسرين ) ، اسمى ( وسام ) ، أحد المشاركين بالتمثيل فى العرض ..

شعرت بأهميتى فجأة ، لكنى خطوت للداخل ـ وفى أعقابى ( مروة ) التى أذهلها هى الأخرى توقف البروفات حتى مجيئى ـ فى تردد وحذر ، وأنا أتلفت حولى ناظرة لأرجاء المسرح الواسع فى شغف ، وقد تولد داخلى إحساس بالرهبة !

المقاعد المتراصة فى صفوف متوازية ، الخشبة العريضة الواسعة الخالية إلا من بعض قطع الديكور ، الستار الأحمر العالى المفتوح ، غموض الكواليس ، مصابيح الإضاءة الملقية ببقع إنارة فى أماكن مدروسة ، سحر المسرح الرائع ، الغامض ، المبهم ..

ـ تفضلى هنا ..

أشار لى ( وسام ) بالجلوس ، والتفت أنا إليه أسأله :

ـ أين الجميع ؟!

أجاب بابتسامته الواسعة :

ـ فى الكواليس يستعدون للبروفة ، سنبدأ بالمشهد قبل الأخير ..

وغمزنى متابعًا :

ـ وهو أحد أهم المشاهد وأكثرها إثارة وتأثيرًا ، برغم أن معظمه ( مونولوج ) فردى يؤديه ( الأعرج ) ..

والتفت إلى عم ( فتحى ) الذى كان قد اعتلى خشبة المسرح فعلاً :

ـ أأنت جاهز بالنص يا عم ( فتحى ) ؟!

أشار عم ( فتحى ) بملف الأوراق الذى يحمله وهو يومئ برأسه ، أن ( كل شىء جاهز ) ، وعاد ( وسام ) يلتفت نحونا قائلاً فى ود ومرح :

ـ العم ( فتحى ) هو أفضل ملقن فى ( جمهورية مصر العربية ) كلها ، لكن الزمن قد دار به حتى إنه يعمل الآن خفيرًا لهذا المسرح !



ـ ماذا تقول يا ولد ؟!

هتف به عم ( فتحى ) من فوق الخشبة ، فهتف ( وسام ) مجيبًا إياه :

ـ لا شىء يا عم ( فتحى ) ، هأنذا قادم ..

بدأت الإضاءة تخفت مع نهاية عبارته ، وخف هو صاعدًا فى الدرجات القليلة المؤدية للخشبة ، ثم ابتلعته ستائر الكواليس السوداء ، مع الظلام الدامس الذى ساد المكان ، والسكون الذى لم يشبه إلا صوت أنفاسى وأنفاس ( مروة ) الصامتة ..

فزعت ـ وفزعت ( مروة ) أيضًا بالتأكيد ـ مع صوت قرع طبل مفاجئ ، لكن ناظرى اتجها نحو بقعة ضوء مركزية ألقيت على منتصف المسرح ، حيث كان ( تامر فوزى ) ـ فى شخصية ( الأعرج ) ـ يجلس متكومًا على نفسه كهر خائف ، لكنه رفع رأسه فجأة وعلى وجهه أقسى آيات الشر المستطير ، ونهض لتظهر ملابسه الرثة المتسخة المهلهلة ، وفى خطوات عرجاء أخذ يجوب المسرح روحة وجيئة ، مع دوى صوته القوى المجلجل :

- منبوذ ، مقهور ، لا حول لى ولا قوة ، سخرية القرية كلها كبيرها وصغيرها ، عاهتى مأساتى وضعفى وهزيمتى ، لكنى لن أركن إلى ظلال صمتى بعد اليوم ، آن للبركان أن ينفجر حممًا ملتهبة فى وجه الجميع ، الجميع دون استثناء ..

سأذيقهم من نفس الكأس المرة ، كأس العار والمذلة والمهانة ، لا سبيل للخلاص مما أعانى سوى نهر من الدماء ، يراق فيرتوى ظمئى الحارق ، لكم أنا ظامئ للانتقام ، ظمأ سيشبه عطش رمال الصحراء ، لقطرة دم ، سأقتل .. سأقتل ..

كلمات مفعمة بالغضب ، دون افتعال أو علو فوق مستوى الموقف ، دون صياح أو تهليل أو خطابة ، هذه هى عبقرية الممثل الحقيقى ..

ألقيت بقعة ضوء ثانية عند طرف المسرح الأيمن ، فظهر ( وسام ) - فى ملابس قروية أنيقة بين كوكبة من الرجال المصافحين - وهو بينهم مبتسم وقور ، وعاد الصوت القوى الرخيم يدوى دون مكبر للصوت :



- وجيه القرية المأفون هذا ، الذى يعايرنى بقدمى العرجاء فى كل مجلس للرجال ، وكلما لقينى عند النهر بعد صلاة العصر ، سأرد له عينًا بعين ، ما دام البادئ أظلم ..

سأقطع ساقيه - غيلة - وهو بين أنصاره وشيعته ، فإما أن يعيش ما بقى له من العمر بساق مقطوعة كساقى ، أو ينزف حتى الموت ..

تلونت الإضاءة فوق الوجيه بلون أحمر قان عند هذا الحد من الحوار ، ثم أظلمت وعادت تضىء من جديد عند الطرف الأيسر ، لتظهر ( سارة حمدى ) فى ملابس غجرية قروية ترقص فى أحد الأفراح ، ممن يطلقون عليهن هناك لقب ( غوازى ) ..

- ثم ( قوت ) الحبيبة ..

أضحى صوته عندما نطقها رقيقًا حالمًا ، ثم أضاف بنفس النبرة وهو يتأمل صورة محبوبته :

- أجمل بنات الغجر ، ترقص مع نجوم الليل وتنساب مع الندى فوق أوراق الزهر الملون كل صباح ..

عاد صوته يكتسى بالغضب والثورة وهو يناجى نفسه :

ـ رفضتنى ، قالت لى بكل قسوة « لن أتزوج بحقير مثلك » ، الحقيرة ، سأجعلها تبكى على جمالها الفاتن الآسر لقلوب كل فتيان القرية ، سأجعلها تتحسر ـ مر الحسرة ـ على يوم واحد من أيامه الغابرة ، سأسكب ماء النار فوق وجهها النقى الطاهر البرىء براءة الملائكة ، فتعيش مثلى ..

منبوذة ، مقهورة ، لا حول لها ولا قوة ، سخرية القرية كلها كبيرها وصغيرها ، وعندها ، عندها فقط ، لن تجد من يقبل بها غيرى ..

كسا الاحمرار الضوء الساقط فوقها كما حدث مع الوجيه ، ثم أظلم المسرح كلية مع الضحكة الشيطانية التى أطلقها ( تامر ) المتقمص شخصية ( الأعرج ) فى مهارة بلا حدود ..

ضحكة كأنها آتية من قلب الجحيم ، إن كان للجحيم قلب !



وشعرت أنا بفزع رهيب ، إن هذه الدراما المسرحية ـ الجيدة فنيًا والمخيفة فكريًا ـ لا تمت لـ ( أحدب نوتردام ) بأدنى صلة ..

أنا واثقة من هذا تمام الثقة !

★ ★ ★

# تهديـــد ..

ـ إنهـا معالجـة مختلفـة شكلاً وموضوعًا عمـا سبق تقديمه لـ ( أحدب نوتردام ) ..

قالها ( تامر ) وهو يشعل سيجارة ـ أول مرة أعرف أنه يدخن كانت وقتها ـ ويضع ساقًا فوق أخرى ، بعد أن أنهى أداءه التمثيلى الذى تـأثرت بـه فعـلاً ، لكنـى اندفعت هاتفة به وقد استفزنى قوله :

ـ أى معالجـة ؟ إنـه تشويه صريح لـروح القصـة ، إنك تحملها من معان سوداء لم يتخيـل مؤلفهـا نفسـه أن تحمله !

ابتسم وهو يسألنى :

ـ وهل قرأت القصة ؟

أحرجنى السؤال ، فلم أكن قد قرأتها حتى لحظتها ، وأكثر ما يضـايقنى فى هذه الدنيـا أن يسـألنى أحـد عن



كتاب أقرؤه فـأضطر لإجابتـه بـ « لا » ، لكـن ( مـروة ) أسرعت تجيب عنى :

ـ لقد شـاهدنا معًا أكـثر من ثلاث أفلام عالج كل منها القصة بطريقة مختلفة ..

أيدت إجابتها على الفور بقولى :

ـ صحيح ، آخرهـا الذى أنتجته ( ديزنى ) تحت نفس الاسم ..

اتسـعت ابتسـامته التـى اسـتفزتنى أكـثر ، فانطلقت أستطرد :

ـ ما فهمتـه مما شـاهدت ، أن ( فكتـور هوجـو ) المؤلـف أراد أن يرسـم لنـا صـورة جميلـة لحـارس كاتدرائية ( نوتردام ) الأحدب القبيـح الخلقـة والمظهـر ، لكنه يحمل قلب طفل ، وحس فنان ، وروحًا شـفافة قلمـا توافرت لدى أجمل الوجوه وأصفاها ، على العكس تمامًـا من الصورة التى رسمها ( أوسكار وايلد ) فـى ( صـورة دوريان جراى ) للهيئة الحسنة والـروح الفاسـدة ، فكمـا أن ليس كل ما يلمع ذهبًا ، ليس كل ما هو مطفأ نحاسًا !

أنهيت حديثى ووقفت متحفزة لسماع رد ( تامر ) ، الذى سحب نفسًا من سيجارته ، ثم سألنى وهى لا تزال بين شفتيه :

ـ أهذا كل ما عندك ؟!

ـ أنت من طلبت استشارتى !

قلتها فى شىء من الضيق ، فسارع يقول :

ـ لم أقصد الإقلال من وجهة نظرك بالقطع ، لكنى ـ مع احترام شديد لكل ما قلت ـ أرى أن (فكتور هوجو ) كان رومانسيًا أزيد من اللازم ..

ثم إنه استطرد قائلاً ، والسيجارة المعلقة بين شفتيه تعلو وتهبط مع تحركهما :

ـ لقد أسبغ على أحدبه هذا من صفات ملائكية ما هو فوق قدراتى على التصديق ، ثم تلك السلبية التى تحلى بها تحت أردية التسامح والغفران ، والتى أعلن رفضى القاطع لها عبر معالجتى ورؤيتى الجديدة للقصة ..



كل ما فعلته يا عزيزتى هو أن جعلت الرجل أكثر إيجابية ، أكثر قدرة على الفعل المتجاوب لا الانزواء تحت أفنان الضعف والهزيمة والاستسلام ، لقد أنبتت له مخالب وبدلت خوره قوة ، ودفعته للثأر لنفسه ، وللانتقام لكرامته الجريحة ..

وهز كتفيه مضيفًا :

ـ هذا كل ما فعلت !

يا للخيال السقيم !

ـ لكنك بهذا تحيد عن جوهر المعنى الذى رمت له القصة الأصلية ...

ـ فليكن ، لن يطق لى مؤلفها مشنقة على منصة القضاء ، فقد قضى نحبه منذ عشرات السنين ..

وأضاف فى خبث لم يخفه :

ـ حتى لو تجاهلنا نشر اسمه فى تحقيق جريدة ( الأربعاء ) !

هذا الفتى غريب ، بل هو الغرابة نفسها ، أو أنا التى أعجز عن فهمه ، فلم أعهد فى امرئ أعرفه هذا القدر من الصراحة والمباشرة ، مهما كانت علاقتى به حميمة ، فماذا عمن لم أره إلا بالأمس فقط ؟!

وقبل أن أرد عليه ، جاء صوت ( وسام ) هاتفًا من عند البوابة :

ـ ( تامر ) ، لقد حضر (راضى) بالخامات الناقصة ..

التفتنا جميعًا نحو البوابة ، لكن ( تامر ) قال قبلها مبتسمًا :

ـ بالمناسبة ، ( راضى ) هو من ألهمنى بمسألة العرج هذه ..

ثم استطرد ، وأنا ـ و ( مروة ) كذلك ـ نتطلع إلى ذلك الرجل الضحوك الذى عبر بوابة المسرح داخلاً وهو يحمل أكياسًا ثقيلة تنوء عضلاته الضعيفة بحملها ، وفى سيره تبدو بوضوح آثار عرج قديم لا تختلف كثيرًا عن تلك التى كان يؤديها ( تامر ) فوق الخشبة منذ لحظات :



ـ إنه موظف بقسم رعاية الطلاب ، والمشرف الفنى بكليتنا ، وهو من تبرع بتصميم ديكور العمل مستعيدًا دراسته القديمة بكلية ( الفنون الجميلة ) ، وقد أصيب بالعرج نتيجة ( شلل أطفال ) أصابه صغيرًا وتم علاجه مخلفًا الأثر الذى لم يزل أبدا ..

ثم أضاف ( تامر ) ضاحكًا :

ـ وهو دائم النقار مع عم ( فتحى ) كما ترين !

كان عم ( فتحى ) لحظتها يبدى ملاحظة ما فى الديكور ـ ربما بحكم خبرته العتيقة فى المسرح ـ مما دعا ( راضى ) أن يرد عليه ساخرًا بنبرة عالية سمعها الكل :

ـ إن فن ( التلقين ) يناسبك أكثر يا عم ( فتحى ) !

ضحك عم ( فتحى ) وهز كتفيه ، وابتسمنا جميعًا على الرغم منا ، والتفت إلىّ ( تامر ) سائلاً :

ـ والآن .. ماذا عن التحقيق ؟!

إنه يطاردنى بكلماته وكأن الأمر فى سلطتى ، أو كأنى موظفة بمصلحة حكومية تعوق سير الموافقة بالمزيد من الإمضاءات والتمغات ، ليس أمامى إلا القبول بأداء الدور إذن !

ـ ربما نجحت فى دعوة السيدة رئيسة التحرير و ..

ـ رائع ، سأقنعها وقتها ـ بطريقتى الخاصة ـ أن تنشر التحقيق فى الصفحة الفنية بدلاً من أن تنشره فى صفحة الحوادث !

دعابة بريئة ؟! أم أننى على حق فى وسوستى ؟!

سألته ( مروة ) ويبدو أنها كانت صامتة تفكر فى الأمر :

ـ لقد أعطانا المشهد قبل الأخير ملخصًا عن أحداث المسرحية ، فماذا عن المشهد الأخير ؟! هل سيحقق ( الأعرج ) وعيده وينفذ انتقامه فيقتل الوجيه والغجرية ؟! أم ينتهى العرض بـ « نهاية مفتوحة » ؟!

ـ لم أكتب النهاية بعد !



سألته عاقدة حاجبى كأننى ( كولومبو ) :

ـ ولم ؟!

قال فى لهجة لا أجد لها وصفًا أقل من كونها (رهيبة ) !

ـ أنتظر وحيًا أكبر من وحى الحبر على سطور الورقة ، إلهامًا يفوق بكثير إلهام رهبان الفكر فى أبراجهم العاجية ، وحى الطبيعة ، وإلهام الواقع ، وهما آتيان لا ريب ، ثقا فى هذا !

ماذا يحاول هذا الفتى أن يقول ؟! هل يحاول الظهور بمظهر الفنان ( البوهيمى ) الذى تعصف لفنه الرياح وتهزم الرعود وتهطل الأمطار الغزيرة ؟! أم أن ما يقوله ليس إلا فقاعات من الصابون ، أو عدة زوابع فى طقم فناجين ؟!!

ـ لقد انتهت بروفات اليوم إلى هذا الحد ..

هتف بها ( تامر ) ناهضًا ، ثم أردف :

ـ لينـاد أحدكم آنسـة ( إقبال ) حتى تغلق خلفنا بوابة المسرح !

هرع ( راضى ) ـ بسـيره الأعـرج ـ هابطًا درجـات خشبة المسرح ، وهو يهتف :

ـ سأفعل أنا ..

التفت إلى ( تامر ) قائلاً وهو يغمزنى :

ـ ( إقبال ) هذه هى سـندريلا قسـم رعايـة الطـلاب لدينا ، يتنافس الجميع فى خطب ودها وخطف قلبها ، ويبدو أنها قد نجحت فى الايقاع بـ ( راضى ) المسكين !

عمن سمعت مثل هذا الكلام مؤخرًا ؟! آه .. تذكرت ( سارة حمدى ) !

ها هى ذى تهبط الدرجات هى الأخرى ـ بعـد تبديـل ملابس الغجرية ـ كأنها أميرة من العائلة المالكة ، حاملة حقيبـة أنيقـة صغيرة من الجينز على ظهرها ، تنـادى بصوتها الرقيق :

ـ ( تامر ) .. ( تامر ) ..



سألها ( تامر ) دون أن تسمح له قواعد اللياقة بتركنا والذهاب إليها :

ـ ماذا هناك ؟!

اقتربت هى ملوحـة بورقـة مطويـة فى يدها ، وهى تقول :

ـ أحدهم هاهنا يمزح مزاحًا سخيفًا !

دنت منـا حتى توقفت أمامنـا ، ولم يسمح غرورها بالتنازل لمصافحتنا ـ أنا والمسكينة ( مروة ) ـ فتجاهلناها بدورنـا ، بينما تنـاول منهـا ( تامر ) الورقـة المطويـة ، وفض فحواها عابسًا ، لكنه ابتسم فى النهايـة ابتسـامة جانبية ساخرة وهو يغمغم بصوت مسموع :

ـ يا للروح المرحة !

وناولنى الورقة بطريقة بدت عفوية ـ قائلاً :

ـ انظرى يا صحفيتنا العزيزة ، أحدهـم يحـاول فـرض النهاية المسرحية علىّ بطريقة مصطنعة للغاية ..

تناولت الورقة بدافع فضولى النهم ، وقرأتها بسرعة ، إذ لم تكن تحمل سوى كلمتين كتبتا بحبر أحمر ، كأنه الدم ..

« الموت للغجرية » !

وبدون إمضاء !

★ ★ ★



# السيد ( س ) ..

أول ما فعلته عند عودتى للمنزل ، وهو إنزال نسخة رواية ( أحدب نوتردام ) من فوق رف المكتبة العالى ، الذى أضع فوقه الروايات والكتب المؤجلة قراءتها حتى إشعار آخر ، وهى نسخة مترجمة بالإنجليزية ـ إذ كانت لغتى الفرنسية وقتها ضحلة للغاية ـ ابتعتها من سور الأزبكية نظير عشرين جنيهًا ، لم أسلم بعدها ممن يتحذلقون بأنى « خدعت » وأنى « زبونة لقطة » ، وأنه كان فى الإمكان الإتيان بها بنصف المبلغ ، لكنى لم أندم ، فليس من عاداتى السيئة الندم على ما فات ، أو البكاء على اللبن المسكوب ..

شرعت فى قراءة الرواية بعد الغداء على الفور ، انتقامًا من سؤال ( تامر ) الخبيث ، ولم يعد والدى ـ جراح المخ والأعصاب العاشق لعمله إلى حد نسيان ابنته ـ من العمل وهو أمر متوقع ومتكرر الحدوث إلى

حد الملل ، وأخذتنى صفحات الرواية حتى دقت ساعة الغرفة الثامنة مساء وقد اقتربت من نصفها تقريبًا ..

لولا برودة ليل ( ديسمبر ) لما أفقت ، وها هى ذى تتسلل عبر أطرافى المثلجة وتبدأ النخر فى عظامى ، ولاسبيل للمقاومة إلا بالمزيد من الملابس الثقيلة وضبط مؤشر المدفأة الكهربائية على درجة أعلى ..

ثم رن جرس الهاتف ..

هل هو ( هشام ) ؟! يتوق قلبى للتصديق لكن عقلى برفض الفكرة ، لن يسامح قلبه الغيور بسهولة ، وأنا الأخرى لن أسامحه بسهولة على تركه إياى وحيدة فى المطعم بعد ذهاب ( تامر ) ، لقد منعنى حيائى وكبريائى من ذكر هذا الأمر فى وقتها ، لكنها أمورى الخاصة على أى حال ولن أعتذر عن عدم ذكرها لكم .. أنا حرة !

إنه لن يعدو أن يكون والدى الذى تذكر فجأة أن له ابنة فى مرحلة جامعية بلا أم أو أخوة ، يريد الاعتذار عن المجىء على الغداء « بعد الهنا بسنة ! » ، أو لعله يريد الاعتذار عن المجىء هذه الليلة ( بالمرة ) ! أو لعلها ( رحاب ) أو ( مروة ) أو ( شيماء ) أو ..



ـ آلو ..

ـ آلو .. آنسة ( نسرين ) ؟!

الصوت مألوف ، لكن الأصوات كلها تختلف عندما تتحول إلى إلكترونات فى أسلاك الهاتف ..

ـ من ؟!

ـ أنا ( تامر فوزى ) ..

يصر هذا الفتى الغريب الأطوار على إثارة دهشتى ، وإرباكى لحد الصمت !

ـ !

ـ أعلم أنك تسألين عن الطريقة التى حصلت بها على رقم هاتفك ، إن خدمة الاستعلامات، وشهرة والدك الدكتور ( فاروق الجبالى ) جعلت هذا الأمر سهلاً بكل تأكيد ..

حاولت أن أبدو مهذبة فقلت :

ـ لا عليك ، أهلاً ( تامر ) ..

- انا ( تامر فوزى ) ..

يصر هذا الفتى الغريب الأطوار على إثارة دهشتى ، وإرباكى لحد الصمت !

- أعلم أيضًا أنك ستسألين عن سر هذه المكالمة ، وماذا أريد من ورائها ..

يا لهذا الفتى الذى يعلم كل شىء قبل أن أتفوه به !

- .. تستطيعين القول إنه إصرار غير مفسر من ناحيتى إلى الظفر باهتمامك الصحفى لتغطية العرض المسرحى الذى وضعت فيه كل ما أمتلك من موهبة مسرحية وخبرات فنية ، إنه عمل عمرى يا ( نسرين ) !

قالها لأول مرة بدون أن تسبقها ( آنسة ) ، لا يهم ، نحن زميلان فى كلية واحدة برغم كل شىء وأى شىء ، ثم إننى أناديه بلا ألقاب !

- سأعمل ما فى وسعى يا ( تامر ) ، صدقنى ..

- سأعتبر هذا وعدًا !

قالها بالإنجليزية التى يحشو بها عباراته من آن لآخر ، فقلت محاولة التملص من إلحاحه :

ـ أنه المشهد الأخير أولاً ، ولنر !

أتاني صوته غريبًا وهو يقول :

ـ لا تقلقى فى هذا الصدد ، لقد بدأت اليوم فى كتابة النهاية ..

وأضاف :

ـ وستسمعين قريبًا جدًا خبرًا جيدًا ، يمكنك اعتبار ما أقوله وعدًا !

أهى البرودة أم خوف مجهول ذلك الذى ارتعدت له فرائصى ؟! لا أدرى ! لكنى لم أشعر بنفسى إلا وصوت الحرارة المتقطعة يخترق أذنى الملتصقة بالسماعة ، لقد حياتى بكل تأكيد قبل أن يغلق السماعة لكنى لم أسمعه !

لا يهم ، لأعد إلى ( أحدب نوتردام ) المقلوب فوق السرير وأستكمل الرواية كلها الليلة ، كان هذا تفكيرى قبل أن يرن جرس الهاتف مرة أخرى ..



هل تعلمون من كان هذه المرة ؟!

★ ★ ★

أنا : آلو ..

الصوت : مساء الخير يا صغيرتى ..

أنا : « بلهفة ممتزجة بالدهشة » أنت ؟!

الصوت : هل افتقدتنى إلى هذه الدرجة ؟!

أنا : لـ .. لم يمض أكثر من أسبوعين عـ .. على المرة الأخيرة ..

الصوت : خطأ يا عزيزتى ، ستة عشر يومًا ، الدقة هى عهدى بك !

أنا : هل تتعمد تغيير نبرة صوتك ؟!

الصوت : لا صوت لى ولا شكل ولا هيئة ، إننى بغير كينونة تقريبًا ..

أنا : ومن تكون ؟!

الصوت : لا تجعلينى أستاء منك يا حلوتى ، أبهذه السرعة تنسين السيد ( س ) ؟!

أنا : كفاك لهوًا بى ، هذه ليست شخصيتك الحقيقية ..

الصوت : لنتفق على أن تقبلى بها مؤقتًا ، فليس فى إمكانى إخبارك بأكثر من هذا ..

أنا : ومتى يصبح فى إمكانك ؟!

الصوت : ربما غدًا أو بعد ألف ألف عام ، من يمكنه كسر حاجز الغيب يا فتاتى ؟!

أنا : لكنى لا أحب الانتظار ..

الصوت : ومنذ متى تأتى الرياح بما تشتهى السفن ؟!

أنا : ..

الصوت : « متابعًا » ثم إننى المادة الخام لمستقبلك الصحفى المرموق عما قريب !

أنا : « بفضولى المعهود » هل من جديد ؟!



الصوت : بالتأكيد ، جعبة السيد ( س ) لا تفرغ أبدًا .. لقد قتل الأعرج الغجرية يا صغيرتى !

أنا : « فى ذهول » ماذا ؟!

الصوت : العرض مجانى على مسرح الجامعة ، الليلة وكل ليلة ..

أنا : ماذا تقول ؟!

الصوت : والستار مرفوع من الآن .. إلى اللقاء ..

أنا : انتظر .. إننى ..

( صوت إغلاق الخط ـ الحرارة المتقطعة .. )

★ ★ ★

غامض كالليل ، جارف كالسيل ، يثير النقع فى أعماقى كقطعان من الخيل ..

لا يظهر إلا فى سبيل تحقيق عدالة غائبة عن خيال الجميع ، ثم يتوحد مع ظلال النسيان ويدخل كهف البيات الشتوى حتى يستدعيه صيف الجريمة للخروج ، فيبزغ

كشمس تواريها السحب ، أو كعنقاء أحرقتها نيران الشر ، فباتت رمادًا ..

السيد ( س ) ..

أعيانى السؤال عن هويته ، عن اسمه وشكله وعمله وعنوانه ورقم هاتفه ، لكنه ما زال مصرًّا على التلاشى فى العدم ..

فهل يحل اللغز نفسه بنفسه يومًا ما ؟!

★ ★ ★

على سريرى أستلقى كقطعة من الجمر فى ليل الزمهرير ، أحاول التفكير ، لعلى أنجح فى فهم ما يحدث ..

أولاً : هل ( تامر فوزى ) هو السيد ( س ) ؟! احتمال وارد .. ولكن أين كان فى القضيتين السابقتين ؟! هذا السؤال يلغى الاحتمال من أساسه ..

ثانيًا : هل قتل ( تامر فوزى ) ( سارة حمدى ) ؟! هذا هو التفسير الوحيد لقول السيد ( س ) بأن الأعرج



قد قتل الغجرية !

ثالثًا : هل التهديد الذى وجدته ( سارة ) فى حقيبتها فى حقيقته أكبر من كونه مزاحًا سخيفًا من شخص يرفض الإعلان عن نفسه ؟!

رابعًا : هل هذا هو الخبر الذى قصده ( تامر ) فى حديثه الهاتفى معى منذ دقائق ؟! معنى هذا أنه بدأ كتابة المشهد الأخير فى مسرحيته فعليًّا ..

ثم .. لعل هذا ما قصده بالفعل عندما كان يجيب عن سؤال ( مروة ) فى المسرح ..

« وحى الطبيعة وإلهام الواقع .. وهما قادمان لاريب ! » ..

يا للمأساة !

لم أتمالك نفسى ، ووجدتنى أرتدى ملابسى بسرعة البرق ، وأهبط درجات سلم عمارتنا فى طريقى إلى الشارع ، مستوقفة سيارة أجرة ، قائلة لسائقها على الفور :

ـ الجامعة يا أسطى ..

لا أظننى قادرة على منع الكارثة قبل وقوعها ، لقد وقعت بالفعل ، وليس بوسعى الآن سوى التأكد من هذا !

★ ★ ★



# جثـــة ..

التاسعة تمامًا ..

الجامعة خاوية على عروشها كأنها مدينة أشباح ، أراها لأول مرة بلا ضجيج ولا شباب ولا شابات ، حزينة كأنها أم رءوم هجرها أولادها ..

أجوب أرجاءها وحدى ، أفرك كفىّ اتقاء لسعات الليل الديسمبرى الباردة ، أتناسى بمقاومة البرد ما يثقل صدرى من أنباء مزعجة ألقت بها فى أذنى سماعة الهاتف ..

لولا الكابتن ( طارق ) ضابط أمن البوابة ، الذى عرفنى إليه ( هشام ) فى إحدى زياراته لى بالكلية ، والذى كانت ورديته الليلة لحسن حظى ، لما تمكنت من اجتياز أسوار الجامعة ، ولعدت بخفى ( حنين ) دون أن أظفر سوى بالمزيد من الشك والألم ..

قلت له مستغلة مواهبى التمثيلية الدفينة :

ـ لقد نسـيت كشكولاً مهمًا للمحاضـرات فوق أحد الأرصفة التى يحلو لنا الجلوس عليها ، أنت تعرف طلبة الجامعة يا كابتن !

ـ انتظرى دقائق معدودة وسيأتى الصول ( محجوب ) ليرافقك ..

ـ كلا ، كلا .. لا داعى لهذا مطلقًا ، لن أغيب بالداخل أكثر من ربع الساعة ، ثم إننى أعرف طريقى جيدًا يا كابتن ، فلست طفلة كما ترى ..

سخيفة أنا فيما يتعلق بدعاباتى ، لكنه عيب يمكن التغاضى عنه على أية حال ، فليس كل أهل الأرض دونى خفيفى الظل !!

هز كتفيه مسلمًا وفتح لى البوابة ، وهأنذا أقف أمام بوابة المسرح منكمشة فى معطفى الثقيل ـ الذى ابتاعه لى والدى فى إحدى رحلاته إلى ( روسيا ) ـ أحدق فى الفراغ بنظرة مجوفة تخلو من أى معنى ..



ـ عم ( فتحى ) ..

لا مجيب إلا نباح بعض الكلاب الضالة آت من بعيد ، وجال بخاطرى أنه سيكون حتفى المؤكد لو باغتنى كلب ضال الآن ، فقبل أن ينقض علىَ سأكون قد مت فزعًا ..

ـ عم ( فتحى ) ..

الصمت الرهيب ، والكلاب لا تتوقف عن النباح المباح ..

ـ عم ( فتحى ى ى ى ى ) !

يشق على أن أعود بخفى ( حنين ) بعد بلوغى هذا الحد ، لا مفر إذن من حركة بلهاء بلا فائدة .. اقتربت من البوابة ودفعتها بقدمى ، ولدهشتى العارمة انفتحت بكل يسر ، كأنها كانت تنتظر منى هذه الدفعة ..

تجمدت ملامحى ـ كعادتى كلما واجهت موقفًا لا أفهمه ـ لكنى قررت التمادى حتى النهاية ، وبخطوات متثاقلة ، تقدمت إلى داخل المسرح ، وأحسست بأنى أتوحد مع الظلمة الحالكة التى غمرتنى وأحاطتنى من كل جانب ، حتى إننى عجزت عن رؤية كفى ..

عمومًا ، لقد احتطت لأمر كهذا ، مددت يدى داخل جيب معطفى وأخرجت البطارية الصغيرة التى أنارت لى ـ عبر خط ضوئى متسع نوعًا ما ـ المشهد المعتم ، فرأيت المقاعد المتراصة فى صفوف متوازية ، والستارة الحمراء الضخمة المسدلة أمام خشبة المسرح العريضة ، ولا أدرى سر شعورى لحظتها بأنى أبدو مثل ( الأبلاسير )(*) ..

أين العم ( فتحى ) غفير المسرح وملقن الفرقة ؟!

كيف يترك البوابة مفتوحة بهذا الشكل فيكون المسرح عرضة للسرقة بمنتهى السهولة ؟!

للأمر رائحة لا أحبها ، ومعنى يرفض عقلى استساغته أو بلورته فى فكرة محددة !

هأنذا فى قلب المعترك ، فلأبحث عن الحقيقة بنفسى إذن ، ولأتوقع أن أرى جثة ( سارة حمدى ) فى أى مكان من المسرح ..

---

(*) الـ ( أبلاسير ) : الموظف المسئول عن توصيل رواد المسرح أو السينما إلى مقاعدهم فى الظلام ..



الكواليس !

لو كنت مكان قاتل فنان مثل ( تامر ) لما وجدت خيرًا من الكواليس مكانًا لوضع الجثة التى سيكتشفها صاحب النصيب ..

وأنا صاحبة النصيب التى اختارها ( تامر ) ..

لا ، أقصد السيد ( س ) !

يووووه .. إن أفكارى مبلبلة حقًا ، لأحاول التركيز قليلاً ..

صعدت فى درجات المسرح فى بطء ، والبرودة قد أصبحت خناجر مسمومة تنغرس فى لحم عظامى ، ثم اجتزت الفرجة الصغيرة بين الستارتين ، وأسقطت ضوء بطاريتى على قطع الديكور ، و ..

ولكن مهلاً ..

ما هذا الجسم الهامد فوق الخشبة ؟ و فى منتصفها تمامًا ؟

ما هذا الجسم الهامد فوق الخشبة ؟ وفى منتصفها تمامًا ؟ لأقترب حتى أرى بمزيد من الوضوح .. ركزت الضوء على الجسم ..

لأقترب حتى أرى بمزيد من الوضوح ..

ركزت الضوء على الجسم ، وجثوت على ركبتى لأتمعن فى مرآه ، لكنى لم أكن فى حاجة لكثير من الفحص لأتيقن من أننى أرى جثة ..

جثة بشرية ، لفتاة مقتولة ..

★ ★ ★

## إقبال بدوى ..

ـ تفضل يا دكتور ( فاروق ) ..

أيقظنى الصوت من غفوتى التى سقطت فيها رغمًا عنى ، نهضت بسرعة وأنا أشعر بألم مبرح فى عضلات رقبتى التى كنت قد أسندتها على ذراعى وذهبت فى نوم اضطرارى بعد ليلة ليلاء ، انتهت بى هنا فى مكتب حرس الجامعة ، أنتظر ما سيحدث ..

لقد نمت أقل من ساعة ، إنها تقترب من التاسعة صباحًا ، كما تشير ساعة الحائط العتيقة المعلقة أمامى ، وها هو ذا أبى يدلف إلى الغرفة الضيقة التى أجلس فيها ، بعد أن فتح له ( هشام ) الباب ودعاه للدخول ، وعلى وجهه ـ أبى لا ( هشام ) ـ أمارات تشى بالجزع واللهفة ..

ثم إنه تقدم نحوى وأخذنى فى أحضانه ، هاتفًا فى فيض



من مشاعر الأبوة الفياضة :

( نسرين ) ، حبيبتى .. أأنت بخير ؟!

أحيانًا أتمنى أن تحدث لى مصيبة كل يوم حتى يغمرنى أبى بكل هذا العطف والحنان ، تبًا لذلك المخلوق الرمادى اللين الذى يقتسم معى مشاعر هذا الرجل : المخ البشرى !

ـ نعم يا أبى ، أنا بخير ..

قلتها محاولة أن أنهل من وجوده إلى جوارى حتى لا أشعر بالحرمان مجددًا فى بعده عنى ، و كنت أعرف أننى لن أستطيع مهما حاولت ..

ـ حمدًا لله على سلامتك يا ابنتى ..

قلت فى عتاب :

ـ وعلى سلامتك أنت أيضًا !

انطلق مقلدًا كل رجال الدنيا يبرر غيابه :

ـ صدقينى أنـا لـم أعد للمـنزل إلا منـذ سـاعة واحـدة فقط ، ولولا كم الرسـائل المهول الذى تركه لى ( هشام ) على الـ ( أنسر ماشين ) لظننت أنك نزلت الجامعة مبكرًا كالمعتاد ..

هل يعتذر أم أنه يزيد الطين بلة ؟! المهم أنه موجود الآن إلى جوارى وكفى ..

ـ لا عليك يا أبى ، كل شىء على مايرام ..

أصـر ( هشـام ) مع سـبق الإصـرار والترصـد على إفساد هذه اللحظة الحميمة النادرة ، فـانطلق يهتـف وقد احمرت أذناه :

ـ رائع ، كل شىء على ما يرام فعلاً ، تهبطين وحدك ليـلاً دون علـم أحـد ، وتـأتين إلـى هنـا فتكتشـفين وجـود قتيلـة فـى المسـرح ، ثـم تقولـين إن كـل شـىء علـى ما يرام ؟!

« .. و الكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس .. »



ـ لقد قلت مرارًا وتكـرارًا إن مكالمـة هاتفيـة جـاءتنى وأخبرنى المتحدث أن ..

قاطعنى وقد فقد السيطرة على أعصابه كلية :

ـ المتحـدث ؟! ذلك الكـائن الزئبقـى الذى لا اسـم له ولاوجود ولا كينونة ؟! والذى لا يشرفنا بظهوره العظيم دون أن تقع الكوارث فوق رءوسنا تباعًا بلا توقف ؟!

عقدت ساعدىَ أمام صدرى قائلة فى عناد :

ـ لقد ساعدكم هذا الذى تتحدث عنه هكذا أكثر من مرة فى الإيقاع بمجرمين ، كنتم تحتاجون دهورًا طويلة لإثبات التهم عليهم ..

قبل أن أنهى عبارتى كان الكـابتن ( طـارق ) قد فتـح باب الغرفة ، متأملاً ذلك الحوار الهمجى الذى يدور بين اثنين مـن المتحضرين ، وكـان ( هشـام ) قد بلـغ ذروة انفعاله وهو يهتف بى :

ـ عمن تدافعين ؟!

لم أرد التمادى فى حوار بغير فائدة كهذا ، فران الصمت على الغرفة للحظات قبل أن يقطعه ( طارق ) الذى وجد نفسه فى ( حيص بيص ) قائلاً فى خجل هامس :

ـ عذرًا ، يبدو أنه اجتماع عائلى من الأفضل أن أترككم لتنهوه ..

حاول والدى تهوين الموقف بدبلوماسية ، فقال بابتسامة باهتة :

ـ كلا ، كلا يا بنى ، تفضل بالدخول .. نحن من نحتل غرفتك دون وجه حق ..

نظرت لـ ( هشام ) نظرة جانبية وأنا أردف فى لهجة ذات مغزى :

ـ بل وتعلو فيها أصواتنا أيضًا !

زفر ( هشام ) فى ضيق ، والتفت نحو ( طارق ) الذى دلف مغلقًا الباب خلفه يسأله فى تبرم :



ـ هل انتهت النيابة من المعاينة ؟!

هز ( طارق ) رأسه بالإيجاب مجيبًا :

ـ أجل ..

سألت أنا :

ـ وإلام توصلوا ؟!

هز كتفيه ثم قال وهو يجلس إلى مكتبه :

ـ لا شىء يذكر أكثر مما توصلنا إليه ، عم ( فتحى ) لم ير شيئًا ، يقول إنه قد ترك المسرح قبل الجميع لزيارة أقرباء له فى ( مصر القديمة ) ، تاركًا مهمة إغلاق بوابته لموظفة قسم رعاية الطلاب ( إقبال بدوى ) مثل كل يوم ، والجميع قد شهدوا بذلك بدءًا من ( تامر ) مخرج العرض وانتهاءً بـ ( راضى ) نفسه !

سأله ( هشام ) عاقدًا حاجبيه :

ـ وكيف يترك المسرح بلا حراسة ؟! أليس هو الخفير المسئول عن ذلك ؟!

ـ بلى ، ولكنه لا يعمل خفيرًا بصفة رسمية ، أى أنه موظف غير حكومى ، كان فى الماضى ملقنًا مغمورًا فى مسارح ( عماد الدين ) وقصور الثقافة ، ولما طعن فى السن أشفق عليه البعض فقادوه ليعمل فى مسرح الجامعة خفيرًا وملقنًا ، نظير أجر زهيد يخرج من ميزانية الجامعة على سبيل التبرع !

وصمت ( طارق ) هنيهة قبل أن يتابع مستطردًا :

ـ كل المؤشرات المبدئية فى التحقيق توجه أصابع الاتهام نحو ( راضى عبد المنعم ) الموظف معها فى القسم ، فأولاً : هو بشهادة الجميع من غادر بصحبتها المسرح قبل أن تغلقه ، و شوهدا يسيران معًا حتى قسم رعاية الطلاب على مسافة مائة متر تقريبًا من المسرح ، قبل أن يغيبا عن الأنظار بداخله لأكثر من نصف ساعة ، خرج بعدها ( راضى ) وحيدًا ، ولم يجزم أحد أين ذهب ، وهل عاد ثانية إلى القسم أم لا .. ، وثانيًا : دافع القتل موجود ، فالجميع ـ بم فيهم الطلبة أنفسهم ـ يعلمون أنه كان يتودد إليها ويريد التقدم لخطبتها ، وهى التى



كانت تتمنع ، والغالب أنه قد عرض عليها الأمر فى الأمس مرة أخرى ، فرفضت وربما سخرت كذلك من عاهته كأعرج ، فثار وقتلها ..

الأهم أن السيد ( س ) قد أخبرنى أن « الأعرج قتل الغجرية » ، والعرج بين فى ( راضى ) ، لكن الغريب أن ( إقبال ) لم تكن غجرية أبدًا !

ـ وهل ألقيتم القبض على ( راضى ) ؟!

سأل ( هشام ) ، فأجاب ( طارق ) :

ـ تصور أنه جاء اليوم فى السابعة والنصف صباحًا ، بصورة أراد أن تبدو عادية تمامًا ليمارس عمله فى القسم ، ولما وجد الشرطة تحاصر المسرح ، تساءل فى براءة عما يجرى ، وانهار باكيًا عندما علم بمصرع ( إقبال ) فى لوعة أقنعتنى أنا شخصيًا ، ووجم عندما شعر أننا نوجه له الاتهام ، ثم أنكر من بين دموعه علاقته الجنائية بالأمر إنكارًا تامًا ، وقال إنه تركها فى القسم ـ عندما شوهد خارجًا بمفرده ـ لأنها أرادت إنهاء أعمال مهمة قبل أن تعود لمنزلها ..

أى حيرة !!

ـ هذا متوقع على أية حال !

قالها ( هشام ) بحس الشرطى المتشكك فى كل شىء ، الرافض لتصديق أى واقعة لم تشهدها عيناه ، السيئ الظن بحكم طول الخبرة ، بينما سأل أبى الذى بدا مهتمًا بما قيل إلى حد فاق المتوقع :

ـ وماذا عن تقرير الطب الشرعى ؟!

قال ( طارق ) ممتعضًا :

ـ لقد حضر الطبيب متأخرًا ، ومازال يفحص الجثة فوق المسرح ..

نظرت لأبى فوجدته يبادلنى النظر ، يبدو أن فكرة واحدة قد برقت فى رأسينا فى نفس اللحظة ، ولا علاقة للوراثة بهذا الأمر على ما أظن ..

والظاهر أن ( هشام ) قد فهم معنى هذه النظرة المتبادلة ، أو أن الفكرة قد هاجمت رأسه هو الآخر فى نفس الوقت « ألم أقل لكم إن الوراثة بريئة هاهنا ؟! »



فقد التفت إلى ( طارق ) قائلاً :

ـ هلم معنا يا ( طارق ) ..

وقبل أن يسأل ( طارق ) ، أجاب ( هشام ) :

ـ الدكتور ( فاروق الجبالى ) سيفحص الجثة بنفسه !

★ ★ ★

وسط بحر من الهمسات واللمزات والتساؤلات الدفينة ، عبر الموكب المكون من ( هشام ) و ( طارق ) فى المقدمة ، يتبعهما أبى الذى يضمنى بذراعه إلى صدره ، فى طريقه إلى مسرح الجريمة « ليس محسنًا بديعيًا هذه المرة ، فالمكان كان مسرحًا بالفعل ! » ..

وبرغم المشهد الفظيع الذى يبعث القشعريرة فى بدنى كلما تذكرته ، وهو مرأى وجه القتيلة الشاحب الغارق فى بياض الموت على ضوء البطارية الشحيح وسط كون من الظلام ، إلا أن شعورًا بالأهمية اعترانى إذ كنت جزءًا من الحادث هذه المرة ، لا مجرد مراقبة له من بعيد ، فأنا أول من اكتشف وقوعه ..

سأكون جزءًا من أنباء الصحف حول الحادث شاءت غيرة زملاء المهنة أم أبت ، لكنى سأحقق انفرادًا مذهلاً فى القضية فور اكتمال أركانها بإذن اللّه ..



إنها الفرصة المثلى لظهور السيد ( س ) على ساحة الأحداث ، لقد لعبها بحرفية حقًا هذه المرة .. لم تشغلنى هذه الخواطر التى انسابت فى مجرى الأفكار عبر ثنايا عقلى ـ فى وقت غير مناسب بالمرة ـ عن رؤية ( تامر فوزى ) من بعيد ..

كان يدخن سيجارة ، ويهمس بشىء ما لـ ( وسام ) عضو الفرقة الذى استقبلنى فى المسرح بالأمس ..

وبدأت أفكار أخرى تغزو عقلى ..

أفكار حاولت مقاومتها قدر استطاعتى ، لكنى لم أفلح ..

كل ما استطعته هو تأجيلها قليلاً حتى نصل للمسرح ..

وهو مجهود مضن حقًا ، لو تعلمون !

★ ★ ★

انتفض الطبيب الشاب الذى كان منكبًا على فحص الجثة لمرأى أبى ـ الجراح المعروف ـ فنهض على الفور متجهًا إليه ، وهو يهتف مرحبًا :

ـ دكتور ( فاروق الجبالى ) هنا شخصيًا ؟! يالحظى الحسن !

بوقار الأساتذة الأجلاء صافحه أبى ، ثم ربت على كتفه سائلاً فى ود :

ـ كيف الحال يا بنى ؟!

أجاب الطبيب الشاب فى احترام :

ـ بخير والحمد لله يا دكتور ..

ثم إنه أشار نحو الجثة مردفًا :

ـ أكاد أنتهى من فحص الجثة ..

خلع أبى عويناته الطبية ، وسترة الحلة الأنيقة التى يرتديها ، ثم ناولنى أياهما وهو يقول للطبيب :

ـ دعنى ألقِ بنظرة عليها ..

لاح اضطراب لحظى فى قسمات الطبيب الشاب ، لكنه سارع بالتنحى عن طريق أستاذه دون أن ينطق بأكثر من :

ـ بالتأكيد يا دكتور ..



أستطيع فهم شعوره ، فمهما كان بارعًا فى عمله سيشعر أن أبى سيعدل له فى نتائجه ، بل وربما يكتشف ما لم يكتشفه هو ، وفى هذا أشد الإحراج له مهما تكلمنا عن خبرة الأستاذ الطويلة ، ومهارة التلميذ المحدودة ..

ويبدو أنه كان يحاول التغلب على هذا الشعور باستعراض النتائج التى خلص إليها من فحصه ، بينما يدا أبى تعملان فى سرعة ودقة أدهشانى بقدر ما أسعدانى :

ـ لقد ماتت مخنوقة باستخدام حبل غليظ تم لفه حول رقبتها فى قسوة ، نستطيع ملاحظة هذا من آثار الحبل على جلد الرقبة ، ومن الزرقة الواضحة فى الشفتين وأسفل العينين .. لا توجد آثار اعتداءات أو كدمات إلا ذلك الجلد المتآكل على الوجنتين ، بفعل مادة كاوية أغلب الظن أنها ..

قاطعه أبى سائلاً إياه :

ـ ألم تلاحظ شيئًا ما ؟!

تحفز الطبيب الشاب وقد أصبحت أسوأ مخاوفه حقيقة ، فسأل فى توتر :

ـ مثل ماذا ؟!

استخدم أبى سبابته وإبهامه فى تفريق جفنى القتيلة وأشار قائلاً :

ـ حدقة العين !

عض الطبيب الشاب شفته السفلى كأنه يلوم نفسه على سهوه عن أمر فائق الأهمية كهذا ، بينما استطرد أبى يشرح له فى هدوء :

ـ إنها أضيق من المعتاد ، وفى الغالب أن القتيلة قد خدرت أولاً بحقنة من مشتقات ( المورفين ) القوية ، والتى تسبب هذا الضيق فى الحدقة ، فسقطت غائبة عن الوعى .. انظر ، هذا هو أثر سن الابرة فى ساعدها الأيسر ، إنه دقيق للغاية لكن لا يفوت على العين الخبيرة ..

الخطأ الثانى !



قلبى معك أيها الطبيب الشاب !

انطلق أبى مواصلاً استعراض عضلاته الطبية :

ـ لا بد وأن نسأل أنفسنا ـ كأطباء شرعيين مهمتنا المشاركة فى تفسير وقائع الجريمة ـ عن أدق الملابسات والتفاصيل ، إننا مثلاً يمكننا الإجابة عن سؤال مهم فى هذه الجريمة ، وهو أين تمت ؟! أنا لا أزعم أن الإجابة ستكون على قدر كاف من الدقة ، لكننا لو عملنا بأسلوب التجنيب ، فيمكننى أن أجنب خشبة المسرح هذه كمكان لحدوثها !

تعلقت الأبصار بأبى الذى بدا كأنه يلقى إحدى محاضراته الشيقة وهو يتابع :

ـ لقد قتلت المسكينة ، ثم حملها القاتل من المكان الذى أتم فيه فعلته البغيضة إلى هنا ، نستطيع استنتاج هذا بسهولة لو انتبهنا إلى أمرين فى غاية الأهمية ، أولا : حركة سحب الجثة فوق خشبة المسرح أزاحت كمية لا بأس بها من الغبار ، وجعلته يعلق بملابسها ،

وثانيًا : يبدو أنها قد سقطت من فوق كتف حاملها فى الطريق فحدث أن تمزقت عضلة من عضلات الكتف الأيمن وأخرى فى الفخذ الأيمن أيضًا دون أن يظهر أى أثر لكدمة هنا أو هناك ، فالكدمات لاتظهر فى الموتى ياطبيبنا العزيز ..

احمر وجه الطبيب الشاب ، بينما تابع أبى وهو ينهض من فوق الأرض نافضًا كفيه :

ـ لكن هذا لا يمنع من اكتشافك السليم لاحتراق جلد الوجنتين بفعل مادة كيماوية حارقة ، ولاستخدام الحبل فى منع الدماء من الوصول للمخ والهواء من الوصول للرئتين ، فجاء الموت السريع ..

أنا ابنة أكبر ديبلوماسى فى التاريخ ، أتأكد من هذا يومًا بعد يوم ..

ابتسم الطبيب الشاب ابتسامة مصطنعة ، وصافح أبى قائلاً فى إعجاب حقيقى شابه بعض الغيظ :

ـ تحليل رائع يا دكتور ..



أما أنا ، فلم أقو على مقاومة الفكرة المريعة التى فرضت نفسها علىّ أكثر من هذا ..

فكرة أجلتها قدر استطاعتى ، لكنها هاجمتنى بغتة فى أعقاب تحليل أبى الطبى المنطقى ، على هيئة سؤال تفجر فى أعماقى كنهر من لهب :

إذا كان ( راضى ) الأعرج هو القاتل ، فكيف استطاع أن يحمل جثة ( إقبال ) على كتفه من المكان الذى قتلها فيه إلى هنا ؟!

ترفض البداهة هذه الفكرة ، كما ترفض فكرة أن يكون له شركاء ، فلو كان قد قتلها حقًا فهو فعل لأنها رفضت حبه ، ومن ذا الذى يقبل بأن يكون شريكًا لسفاح فى فعلة شنعاء كهذه انتقامًا لقضية لا ناقة له فيها ولا بعير ؟!

إن أصابع الاتهام تتحول تدريجيًا ـ كمدفع مثبت فى قمة دبابة ـ نحو شخص آخر ..

ما رأيكم بـ ( تامر فوزى ) مرة أخرى ، فى صورة أبشع قليلاً ؟!!

لأمارس هوايتى الأثيرة فى تخيل سيناريو لما حدث ..

الفنان الذى تؤرقه نرجسيته ، ويقض عليه فنه مضجعه ، يتوق لوضع نهاية مبتكرة لمسرحيته ، نهاية فريدة لم يسبقه إليها أحد قبله ، ولن يصل خيال فنى لمثلها بعده ، فتسقط الشعرة الرفيعة المشدودة بين عبقريته والجنون ، ويقرر ألا ينتظر « وحى الطبيعة وإلهام الواقع » أكثر من هذا ، فيفكر ، ويدبر ، ثم يقرر التنفيذ ..

إن ( راضى ) هو من ألهمه بشخصية الأعرج ، وهو يحب غجريته ( إقبال ) لكنها ترفضه ، فيقرر الفنان الانتقام له ، وفى يوم متفق عليه بينه وبين الشيطان ، حضرت فيه الصحفية الشابة الناشئة إلى البروفة ، تمت الجريمة ..

لقد غادر ( راضى ) الجامعة كلها ، وبقيت ( إقبال ) وحدها فى القسم لتنجز بعض الأعمال ، لكنها تفاجأ بالفنان ينقض عليها فى وحشية ، فيخدرها ثم يسلبها الروح بحبل غليظ ، ويحملها حتى خشبة المسرح ـ بعد



أن تقع منه مرة فى الطريق على جانبها الأيمن نفيًا لمبدأ الجريمة الكاملة ـ ليعلن عن جريمته ، ثم يتوارى فى الظل تاركًا مكانه للمسكين ( راضى ) ذاهلاً فى قفص الاتهام ..

وتكون نهاية المسرحية الموغلة فى التراجيديا الدموية ..

هذا أقرب تصور لما حدث ، لكن يعوزه الإثبات ..

وهذه مهمتى ، برغم أنف الجميع !

كنت أنا وأبى و ( هشام ) نهبط درجات خشبة المسرح ، و ( هشام ) يقول مادحًا حما المستقبل :

ـ هكذا أنت دائمًا يا دكتور ، السهل الممتنع ..

ـ إنها خبرة المعطف الأبيض الطويلة لا أكثر يا عزيزى ..

والتفت أبى إلىّ قائلاً فى مرحه الأبوى المعهود :

ـ أعتقد أن صغيرتى تتوق الآن لوجبة شهية وسرير دافئ !

هززت رأسى بالإيجاب وأنا أمنع جفنى من الانزلاق فوق عينى بصعوبة ، لكنى مع هذا التفت بدورى نحو ( هشام ) أسأله :

ـ ماذا عن الأدلة ؟!

عبس متسائلاً :

ـ أية أدلة ؟!

ـ ألم تعثروا أو تعثر النيابة على شىء ما ؟!

شىء مثل ماذا ؟!

ـ قصاصات ورقية أو وريقات مطوية أو رسا ..

ـ نعم ، نعم ، لكننا لا نعد هذا الهراء من الأدلة ..

وهز كتفيه قبل أن يستطرد :

ـ لقد وجدنا فى حقيبة القتيلة التى كانت ملقاة إلى جوارها ورقة مطوية مكتوب عليها ثلاث كلمات فقط ، دعينى أتذكرها حرفيًا .. آه .. « الأعرج قتل الغجرية » !

اتسعت عيناى المجهدتان وأنا أهتف :



ـ فقط ؟!

ـ نعم ، لقد رأيتها بنفسى وإن كنت لم أفهم معناها تحديدًا ..

سألته :

ـ ألا يوجد إمضاء ما ؟!

هز رأسه نفيًا فى قوة وهو يجيب بلهجة واثقة :

ـ كلا ، ثلاث كلمات فقط ، وبدون إمضاء ..

وأضاف فى شىء من السخرية :

ـ إن كنت تقصدين بطلك الأسطورى هذا ، فتأكدى أنه لم يترك ما يدل عليه ..

لا ، هذه المرة بالذات لم أقصد ما فهمه ، لذا سألته من جديد :

ـ هل كانت الكلمات مكتوبة بالحبر الأحمر ؟!

عقد حاجبيه فى غير فهم قبل أن يجيب :

ـ نعم ، إن كان هذا يعنى لك شيئًا !!

ـ الكثير ، فى الحق إنه يعنى الكثير ..

ولم أزد كلمة واحدة تاركة الفضول يأكله ، بينما شردت مع أفكارى مرة أخرى ..

رسالتان بلا مرسل مكتوبتان بالحبر الأحمر ، إحداهما فى حقيبة ( سارة حمدى ) تطالب بـ «الموت للغجرية» ، والأخرى فى حقيبة ( إقبال بدوى ) المقتولة تخبرنا أن «الأعرج قتل الغجرية» فما معنى هذا ؟!

أهى إحدى ألاعيب ( تامر ) ـ إن كان هو القاتل حقًا ـ التى يقصد من ورائها إبعاد أنظارنا عنه ، وتوجيهها تمامًا ناحية ( راضى ) ؟!

أم يكون القاتل هو ( راضى ) بالفعل ، ويكون من وضع الرسالتين هو ..

عقلى منهك من جراء سهر ليلة طويلة مضنية ، فلأرجئ التفكير إلى وقت لاحق ..

اتجهت بصحبة أبى نحو سيارته الرابضة أمام بوابة الجامعة الخارجية ، يشيعنا ( هشام ) الذى نسى فى



خضم المتاعب الجديدة شجارنا السابق وفتح لى باب السيارة بنفسه قائلاً :

ـ تفضلى يا سمو الأميرة !

لم أبتسم لدعابته ، إذ إننى قبل أن أركب ، رأيته من بعيد ..

( تامر فوزى ) يقف بهيئته الغربية مستندًا بكتفه إلى أحد أعمدة الإنارة أمام سور الجامعة ، يبتسم نصف ابتسامة ، ويشير لى بإبهامه أن « كل شىء على ما يرام » !

!!!!!!!

★ ★ ★

# القسم الثانى

## البحث عن الحقيقة !

( هذا الفتى يطاردنى فى كل مكان
حتى أحلامى .
وها هو ذا يقف هنا ! )



## كابـــوس ..

كنت جالسة بمفردى على مقعد فى أحد الصفوف الوسطى للمسرح ، و قد بدأت الستارة الحمراء الكبيرة تنفتح مع خفوت الإضاءة تدريجيًا حتى اختفائها ..

الظلام ، لكنى لم أكن خائفة أبدًا ..

حتى مع بروز الضوء فجأة من اللامكان وسقوطه فى دائرة زرقاء باهتة فى منتصف المسرح تمامًا لم أخف ، كنت أعرف أن هذا الذى يقف فى مركز دائرة الضوء هو ( تامر فوزى ) ، وأن هذه الموسيقى المقتبسة من أول فيلم مرعب شاهدته فى حياتى وأنا طفلة ، ما هى إلا مؤثر يراد به إخافتى ..

لكنى لن أخاف ، أنا مصرة على هذا ..

كان هو بطل المسرحية ، وكنت أنا المشاهدة الوحيدة ..

لكن الموسيقى ممعنة فى إيقاعها الرتيب ، والضوء يزداد زرقة وشحوبًا ، وخشبة المسرح تقترب منى فى بطء كأنها ثعبان آت من دنيا الحكايات المفزعة ، ثم .. ما كل هذه الخفافيش التى تحلق فوق رأسى ، وتكاد تملأ سقف المسرح بأصواتها الرفيعة المزعجة ؟!

لن أخاف .. لن أخاف ..

لن تفلح معى هذه الحيل المسرحية القديمة ..

يستدير الواقف فى دائرة الضوء دون أن يتحرك ، كأنه تمثال من الصخر فوق أرض تدور ، إنه ( تامر فوزى ) ، كنت أعرف هذا قبل أن يتراءى لى وجهه ، ولكن لماذا يبدو بهذا القرب ؟!

ولماذا يكتسى وجهه بهذا الشحوب المبالغ فيه ؟!

يفتح عينيه فجأة ..

لن أخاف ..

أين ذهب البؤبؤ ؟! إن عينيه بيضاوين تمامًا من غير سوء !



لن أخاف .. لن تفلح معى هذه الحيل المسرحية القديمة ..

لماذا يكشر عن أنيابه ؟! إن نابيه العلويين قد استطالا قليلاً ، هل أبالغ إذا قلت إنه يبدو مثل مصاصى الدماء خاصة مع ذلك السائل الأحمر اللزج الذى يقطر من فمه ؟!

بدأت أخاف !

الخفافيش تتزايد فوق رأسى ، بعضها يصطدم بشعرى وكتفى ، أحاول هشها بلا فائدة ، تتزايد وتتزايد ، يقولون إن الخفاش إذا التصق بالوجه فلن يمكن فصله عنه أبدًا ! أعتقد أنها خرافة شعبية قديمة على أية حال ..

ليس هذا وقت الفلسفة يا ( نسرين ) !

إن مسخ ( تامر فوزى ) يمد نحوى يديه المعروقتين ، أظفاره قد استطالت وصبغت بلون أسود كالرعب ، هل هناك حيل مسرحية بارعة إلى هذا الحد ؟!

يضحك المسخ فى شراسة ، تلامس يداه رقبتى ، ليس أمامى إلا الصراخ ..

الصراخ ..

الصراخ ..

ثم الاستيقاظ من النوم ، مع لهاث وعرق وبسملة ، وإدراك أن كل هذه الهلاميات لم تكن سوى أضغاث أحلام ..

كم الساعة الآن ؟!

يااااه .. التاسعة مساءً ؟ لم أكن أعرف أننى مجهدة إلى هذا الحد !

نصف ساعة كانت كافية تمامًا لدش ساخن ، ثم الجلوس مع كوب ( النسكافيه ) الأكثر سخونة على كرسى أبى الهزاز ، أحاول استجماع أفكارى وترتيبها ، بحثًا عن نقطة بداية ..

بدأ عقلى يسترجع أحداث الأمس واليوم كلها ، ويلخصها لى فى عدة نقاط ..

يضحك المسخ فى شراسة ، تلامس يداه رقبتى ، ليس أمامى إلا الصراخ .. الصراخ ..

• تتلقى ( سارة حمدى ) بطلة فرقة الكلية المسرحية تهديدًا ضمنيًا بالقتل ، وأتلقى أنا من السيد ( س ) المجهول مكالمة هاتفية يخبرنى فيها أن التهديد قد نفذ فعلاً ..

• فى المسرح مساء أمس اكتشف جثة ( إقبال بدوى ) موظفة قسم رعاية الطلاب مقتولة ، وتشير القرائن كلها إلى ( راضى ) زميلها فى العمل الذى وقع فى هواها كقاتل لها !

• يشير أبى ـ خلال فحصه الطبى للجثة ـ إلى أنها قد قتلت ثم حملت إلى خشبة المسرح مما يبعد الشبهة جزئيًا عن ( راضى ) نظرًا لعرجه ، ويؤكد شكوكى بشكل ما فى ( تامر فوزى ) أغرب مخلوقات اللّه طرًا ..

من أين أبدأ إذن ؟!

رفعت سماعة الهاتف وطلبت ( شيماء ) ..

ـ ( نسرين ) .. أخيرًا عثرنا عليك !



لهذا أغلقت جرس الهاتف قبل أن أنام ، لقد طلبتنى ألف مرة على الأقل رغبة فى استجوابى بالطبع بشأن الحادث الذى كنت سببًا فى اكتشافه ..

لن أجعلها تنال غرضها بسهولة !

ـ ( شيماء ) ، أحتاج إليك فى مسألة ملحة للغاية !

ـ أخبرينى أولاً كيف ..

ـ ستكون لنا جلسة طويلة فى هذا الشأن قريبًا جدًا ، كل ما أبغيه منك الآن هو عنوان أو رقم هاتف ( سارة حمدى ) !

صمتت قليلاً قبل أن تسأل :

ـ لماذا ؟!

يا للفضول !

لست إحدى المعجبات بها بالتأكيد ، لذا فقد قلت فى نفاد صبر :

ـ بشأن القضية طبعًا ..

وفى حسم سألتها :

ـ هل أجد لديك أى منهما أم لا ؟!

ـ لا أعرف عنوانها ، فهى ليست صديقتى ولم أتبادل معها فى عمرى سوى كلمة أو اثنتين !

ـ وهذا ينطبق بالتأكيد على رقم هاتفها !

ـ بالفعل ..

لم تفدنى ( شيماء ) كما توقعت !

ـ شكرًا يا عزيزتى ، أزعجتك فى هذه الأمسية الباردة ..

ـ لا تقولى هذا يا ( نسرين ) ، عمومًا سأبذل جهدى فى أن أحصل لك على أى منهما فى أقرب وقت ممكن ..

ـ سأكون ممتنة لك يا عزيزتى ، إلى اللـ ..

ـ انتظرى يا ( نسرين ) ، ترى هل يفى رقم هاتفها المحمول مؤقتًا ؟!!

يا ربى !

لماذا لا أصادق سوى الأغبياء ؟!

★ ★ ★



ـ « الرقم المطلوب خارج نطاق الخدمة أو أن الهاتف مغلق الآن ، من فضلك حاول الاتصال فى وقت لاحق .. »

هذا عيب الهواتف المحمولة ، ربما أتصل بها لاحقًا لكنى لن أقضى ليلتى بالتأكيد إلى جوار الهاتف ، لا مفر من البحث عن نقطة بداية أخرى ..

أين ؟؟ أين ؟؟ أين ؟؟

وجدتها !

★ ★ ★

# فتحى كمبوشة ..

ـ ( فتحاااااى ) .. ( فتحاااااى ) ..

أبى الكابتن ( طارق ) هذه المرة إلا أن يرافقنى الصول ( محجوب ) من البوابة حتى باب هذه الغرفة الضيقة الملحقة بمبنى المسرح ، والتى يستخدمها عم (فتحى ) كمسكن له ، وها هو ذا يناديه بصوته الجهورى الغليظ الذى أسكت نباح الكلاب الضالة من بعيد !

ـ ( فاتحاااى ) ..

تتحدثون بكل تأكيد عن جرأتى الزائدة عن الحدود المعقولة ، والتى جعلتنى أستطيع القدوم إلى الجامعة ليلاً ـ لليوم الثانى على التوالى ـ وأطلب من الكابتن (طارق ) الدخول مرة أخرى ..

ماذا أقول لكم ؟! لقد فعلتها بدليل وجودى هاهنا الآن ..



كيف ؟!!

بكل بساطة طلبت منه أن أرى عم ( فتحى ) ..

ـ ( فتحى كمبوشة ) ؟!

ـ أجل ..

لم أكن أعرف حتى لحظتها أن لقب ( كمبوشة ) قد ألحق باسمه ، و ( الكمبوشة ) لمن لا يعلمون هو اسم ذلك الجزء الأمامى من خشبة المسرح الذى يكمن فيه الملقن بعيدًا عن أنظار الجماهير ليكون قريبًا من مسامع الممثلين ، وقد اختفى من أغلب المسارح الحديثة !

ـ ولماذا ؟!

إن الحيل لا تنفد أبدًا !

ـ ربما يكون قد عثر على كشكول المحاضرات الذى لم أجده بالأمس ..

أعلم أن الكابتن ( طارق ) ليس بغر ساذج ، لكنى قلتها على سبيل المزاح مدركة أنه يعلم أننى ـ بحكم

عملى الصحفى ـ ما جئت إلا بحثًا عن الحقيقة ، وهو ما لم يمنعه من أن يسأل متهكمًا :

ـ ووجدت بدلاً منه جثة مخنوقة ؟!

هززت كتفى قائلة :

ـ من يدرى ؟! ألا يحتمل أن أجد الليلة واحدة أخرى ؟!

ـ لايسعنى إلا أن أتمنى لك حظًا سعيدًا ..

قالها ثم رفع عقيرته بنداء الصول ( محجوب ) ..

ـ ( فاااتحاااااى ) !

أخيرًا جاء صوته من الداخل :

ـ نعم يا صول ( محجوب ) ..

ـ افتح ، معى ضيف لك ..

فتح عم ( فتحى ) الباب ، وهو ينظر إلينا مضيقًا عينيه الغارقتين فى بحر من التجاعيد السمراء ، والظاهر أنه لم يتذكرنى ، أو أن الشيخوخة قد أضعفت بصره إلى حد أنه لا يتبين ملامحى على الضوء البرتقالى للمصباح الكهربى المعلق فوق باب الغرفة ..



ـ مساء الخير يا عم ( فتحى ) ..

ـ مساء الخير يا ابنتى ، أفندم ..

قبل أن أتفوه بشىء ، صاح فيه الصول (محجوب ) :

ـ ما الذى أخرك عن فتح الباب يا رجل ؟! أكنت نائمًا أم ماذا ؟!

ـ كلا ، ولكن لدى ضيف آخر بالداخل ..

ثم انتبه إلى وقفتنا بالخارج فى هذا الليل البارد ، فأشار للداخل قائلاً :

ـ تفضلا ..

قال الصول ( محجوب ) الذى لا يتحدث إلا صياحًا :

ـ على شرط أن تعد لنا كوبين من الشاى الأسود ( المتين ) !

ـ طبعًا .. تفضلا بالدخول أولاً ..

دخلت مترددة ، لكن وجود الصول ( محجوب ) إلى جوارى منحنى اطمئنانًا نسبيًا ، ثم إن البرودة لا تحتمل فى الخارج بالفعل !

دخلنا ، ورأيت الضيف الآخر المزعوم ..

كان ( تامر فوزى ) ..

هذا الفتى يطاردنى فى كل مكان حتى أحلامى ، وها هو ذا يقف هنا ، أمام حوض متهالك لغسيل اليدين فى ركن الغرفة الضيقة القصى ، والتى تضم أيضًا سريرًا عتيقًا منخفضًا ، ومقعدًا خشبيًّا عليه أدوات إعداد الشاى ، ومرآة متسخة ومشروخة .. فقط !

ـ مرحبًا بصحفيتنا الكبيرة ..

كان يمسك بأدوات تسليك ويعمل بهمة فى فتح مجرى بالوعة الحوض ، وهو ما استرعى انتباهى وأثار دهشتى لأقصى حد ..

وقد لاحظ هو نظرتى الطويلة إلى يديه فقال فى مرح :

ـ عذرًا ، إنها ليست مهنتى المفضلة ، لكنى وجدت عم ( فتحى ) فى أزمة حقيقية نتيجة انسداد حوضه هذا ، فتبرعت بالمساعدة !

ـ هل أنت معتاد على زيارته ليلاً ؟!



سألته فى شك بين ، محاولة التغلب على خوفى منه ومن أفكارى ، فما كان منه إلا أن ابتسم نصف ابتسامة ، ثم قال :

ـ هل ستبدئين فى إشباع غريزتك الصحفية من خلالى ؟!

رفع عم ( فتحى ) حاجبيه هاتفًا وقد تذكرنى بغتة :

ـ أنت الصحفية التى حضرت معنا البروفة بالأمس !

قال ( تامر ) مصححًا وهو يواصل عمله فى دأب :

ـ أول أمس يا عم ( فتحى ) ، بالأمس كان اكتشاف الجريمة على يديها أيضًا ..

قال عم ( فتحى ) فى تأثر :

ـ نعم ، ( إقبال ) المسكينة !

لن يتسنى لى سؤال عم ( فتحى ) عن أى شىء فى وجود ( تامر ) ، لقد أفسد وجوده زيارتى الليلية ، ولن أنال منها إلا كوب الشاى الذى شرع عم ( فتحى ) فى إعداده بالفعل ..

جلست والصول ( محجوب ) على طرف السرير ، بينما قال ( تامر ) وهو يصب سائلاً ما من زجاجة شبيهة بزجاجات الأدوية فى بالوعة الحوض ، متجاهلاً سؤالى الذى طرحته عليه تمامًا :

ـ سمعت أقاويل غريبة عن الحادث ، منها تلك الورقة التى وجدت فى حقيبة ( إقبال ) رحمها اللّه ، يبدو أن أحدهم يحاول استغلال أحداث مسرحيتى بأسوأ صورة ممكنة !

لن تخدعنى عبقريته التمثيلية التلقائية أبدًا ، لهذا قلت أناوره :

ـ أحدهم ؟! ألست متفقًا مع الجميع فى اتهام ( راضى ) ؟!

ـ كلا بالقطع ، إنى أعرفه جيدًا ، مستحيل أن يفكر حتى فى فعلها ..

غريبة ! لم أتوقع قول كهذا منه ، لن تنمحى شكوكى تجاهه على أية حال حتى أتيقن من القاتل الحقيقى ، سواء كان ( راضى ) أو لا ..



سألته ـ وقد انعقد حاجباى فى ريبة ـ مراقبة ما يفعله :

ـ ما هذا الذى تصبه فى الحوض ؟!

رفع الزجاجة أمامى قائلاً :

ـ إنها ( شبة ) ، مادة كاوية تستخدم فى تسليك البالوعات المسدودة !

مادة كاوية ؟! يبدو لى قولاً مألوفًا !

★ ★ ★

« .. سأسكب ماء النار فوق وجهها النقى الطاهر البرىء براءة الملائكة .. »

« .. لا يمنع اكتشافك السليم لاحتراق جلد الوجنتين بفعل مادة كيماوية حارقة .. »

★ ★ ★

ـ عمومًا هأنذا قد انتهيت !

ـ وهاهو ذا الشاى الأسود ( المتين ) !

قالها عم ( فتحى ) مقدمًا لى وللصول ( محجوب ) كوبى الشاى فوق صينية خشبية متواضعة ، فضحك الأخير فى قوة ارتج لها السرير المتداعى قبل أن يصيح :

ـ ( فتحى كمبوشة ) هو أفضل من يعد الشاى فى القطر كله ..

اقترب ( تامر ) مربتًا على كتف عم ( فتحى ) وهو يقول مبتسمًا :

ـ إنه رجل متعدد المواهب حقًا ، ( فنان شامل ) بلغتنا أهل الفن ، هيا يا عم ( فتحى ) .. ارو لنا قصة الدور الصغير الذى حظيت به فى تلك المسرحية التى مثل فيها جهابذة المسرح و فطاحله أجمعين !

أشاح عم ( فتحى ) بيده قائلاً فى خجل امتزج بالمرارة :

ـ كانت أيامًا وذهبت لحال سبيلها يا بنى ، لست الآن سوى ملقن أعمل بلقمتى وسكنى فى مسرح للهواة من شباب الجامعة !



ربت ( تامر ) على كتفه مرة أخرى قائلاً فى صدق لم يخل من شفقة ساخرة !

ـ لا تبخس نفسك قدرها الحقيقى يا رجل ، ربما جاءتك الفرصة يومًا ما !

قال عم ( فتحى ) فى أسى :

ـ أية فرصة ؟! لقد مضى قطار الحياة بى آخذًا كل الفرص المتاحة ، ليس لى الآن إلا انتظار النهاية كمشهد ختامى فى مسرحية عمرى التى لم يشاهدها أحد سواى ..

فرض الصمت نفسه بعد قول عم ( فتحى ) المفعم بالمليودراما ..

تنهدت وندت منى التفاتة نحو ( تامر ) ، الذى كان يتجه نحو معطفه الجلدى المعلق إلى مسمارٍ فى ظهر باب الغرفة ، ثم مد يده داخله مخرجًا محقنًا مغلفًا وأمبولاً صغيرًا وهو يقول :

ـ استعد يا عم ( فتحى ) ، إنه موعد حقنة الأنسولين !

محقن ؟! قول مألوف آخر ..

★ ★ ★

« .. وفى الغالب أن القتيلة قد خدرت أولاً بحقنة من مشتقات ( المورفين ) القوية ، والتى تسبب هذا الضيق فى الحدقة ، فسقطت غائبة عن الوعى .. »

« .. لقد أنبتت له مخالب وبدلت خوره قوة ، ودفعته للثأر لنفسه ، وللانتقام لكرامته الجريحة ، هذا كل ما فعلت ! »

★ ★ ★

أغلق عم ( فتحى ) عينيه فى ألم بعد اختراق سن الإبرة لجلد ساعده الأيسر ، وفور خروجها غمغم فى مقت :

ـ يا لداء السكّر اللعين !

قلت لـ ( تامر ) فى توجس :

ـ أنت بارع فى إعطاء الحقن !

هز كتفيه وهو يلقى بالمحقن الفارغ فى سلة مهملات قريبة قائلاً :



ـ لقد تعلمت إعطاء الحقن فى دورة طبية فى أثناء تدربى على حياة الكشافة فى الولايات المتحدة ، وأنا بطبيعتى مغرم بأسرار الطب ومكامنه المستغلقة !

مازال ( تامر ) مصرًا على أن يبلغ بشكوكى حد اليقين ..

وعلى إقناعى بأنها ليست محض أوهام ..

أبدًا !

★ ★ ★

# سارة حمدى .. مرة ثانية !

هل كـان الحنـق أم خيبـة الأمـل هو مـا اعترانى من شعور وأنا أطالع أكثر من سبع صحف صباحية ، باحثة بعينى عن خبر قتيلة مسرح الجامعة ؟!

لا أدرى !

لقد مرت غالبيتها على الخبر مرور الكـرام ، صحيفـة واحدة فقط ذكرت أن طالبـة فى كليـة ( الإعـلام ) قـد عثرت على الجثة ليلاً ، فى ظروف غامضة ، وهى بكل أسف أقل الصحف مستوىً وانتشارًا ..

لكنى استطعت إقنـاع نفسـى بسـرعة أن هذا ما كـان يجب أن أتوقعه ، وأن فكرة ظهورى كفتاة غلاف (سوبر ستار ) أو صعود نجمى إلـى السماء السابعة أو هرولـة الجمـاهير الغفـيرة خلفـى مـن أجـل التوقيـع علـى الأوتوجرافـات غير واردة لمجرد اكتشافى جريمـة قتل



بلافاعل حقيقى ! مجرد مشتبه فيـه واحد سيمنحه أى قاض يحترم نفسـه والقـانون حكمًـا بـالبراءة نظرًا لعدم كفاية الأدلة !

مازال طريق البحث عن الحقيقة طويلاً ، لكـن إيمـانى بـأن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة مازال راسخًا ، وقد بدأت هذه الخطوة ليلة الأمس بالفعل ..

مازلت أفكر فى الخطوة الثانية ، لكن هذه لن تمنعنـى من النزول للجامعة فمازلت طالبة قبل كـل شـىء ، كنـت أستعد للنزول بالفعل عندما رن جرس التليفون ..

ـ صباح الخير يا ( نسرين ) ..

ـ صباح الخير يا ( شيماء ) ..

ـ أتيت لك بما طلبت ، العنوان ورقم الهاتف !

هذه الفتاة رائعة بحق ، سأقترح عليهـا يومًـا مـا أن تفتح مكتبًا للتحقيقات الخاصة !

ـ رائع ، انتظرى حتى أحضر ورقة وقلمًا .. (لحظـات ) .. هه ، ماذا لديك ؟!

ـ كم تدفعين أولاً ؟!

ـ هيا يا ( شيماء ) لا أريد أن أتأخر ..

أعطتنى المعلومات المطلوبة الطازجة ، وشكرتها بسرعة ثم طلبت الرقم دون لحظة تأخير ..

رن الهاتف طويلاً حتى كدت أفقد الأمل ، حتى أتانى صوت نسائى ناعم نائم فى النهاية ..

ـ آلو ..

ـ إحم ، أريد التحدث للآنسة ( سارة حمدى ) من فضلك ..

ـ أنا ( سارة ) .. من معى ؟!

لن أخبرها بهويتى الحقيقية ، لو فعلت فستغلق السماعة فى وجهى على الفور ، لا مفر من حيلة بريئة أستفز بها هيام هذه الفتاة بعالم النجومية والبريق ..

ـ اسمى ( نسرين ) ، وأعمل مساعدة مخرج فى مسلسل جديد تقوم بإنتاجه إحدى شركات الإنتاج التلفزيونى الخاصة ، ليعرض فى شهر ( رمضان ) المبارك



على كافة المحطات العربية المحلية والفضائية ، وقد رشحتك بنفسى لأحد الأدوار المهمة والمؤثرة فى أحداث المسلسل ، بناءً على مشاهدتى لك أول أمس فى بروفات مسرحية ( الأعرج ) فى ..

جاءنى صوتها هذه المرة مليئًا بالحيوية والنشاط ، وهى تقاطعنى هاتفًا :

ـ حقًا ؟! أأنت المحجبة أم ذات الشعر القصير ؟!

ـ الثانية !

صمتت قليلاً قبل أن تقول فى حذر أدركت بحدسى ماهيته :

ـ لكنى سمعت ( تامر ) يقول ..

المزيد والمزيد من الحيل البريئة ، والأكاذيب البيضاء !

ـ لقد عرفته بنفسى على أنى صحفية ، وأنا أعمل مراسلة بالفعل لعدد من المجلات الفنية الصادرة فى (مصر ) و ( بيروت ) ودول الخليج العربى !

كانت تريد أن تقتنع ، فتجاهلت مخاوفها لتقول :

ـ حسن يا آنسة ( نسرين ) ، سأكون مستعدة للقائك فى أى وقت ..

ـ الآن إن أمكن ، فالوقت ضيق وشهر ( رمضان ) على الأبواب !

ـ سأكون فى انتظارك ، هاك العنوان !!!

★ ★ ★

قابلتنى وهى فى كامل زينتها وأناقتها برغم أن مشوار الذهاب إليها بسيارة الأجرة ـ فى الانسياب المرورى الصباحى ـ لم يستغرق أكثر من عشرين دقيقة ..

انبهرت بجمالها ، لو عاشت هذه الفتاة فى عهد المصريين القدماء لانتخبوها بالإجماع إلهة للجمال والأنوثة ، إنها لا تصلح إلا أن تكون أميرة ، أو نجمة سينمائية !

وكانت وحيدة فى المنزل على ما يبدو ..

ـ أمى نائمة بالداخل !



أجابت على السؤال الذى أطل من ناظرىَ قبل أن ألفظه ، ذكية ولماحة أيضًا !

قدمت لى علبة مذهبة أنيقة ممتلئة عن آخرها بقطع الشيكولاتة الفاخرة ، مددت يدى آخذة إحداها وأنا أفكر فى مدخل مناسب للحديث أصل به إلى غايتى الحقيقية من اللقاء ، لكنها اختصرت على سبلاً طويلة للتحايل فقالت :

ـ هل أعجبك أدائى أول أمس ؟!

قذفت بقطعة الشيكولاتة فى فمى ، ثم أجبت وأنا ألوكها بأسنانى :

ـ جدًا .. لقد تأثرت به حقيقة !

وضعت ساقًا فوق أخرى قائلة كأنها نجمة فى حديث تلفزيونى :

ـ برغم ضيق مساحة الدور إلا أنه أعجبنى ، موضوع المسرحية كله راق لى ..

قلت مكورة ورقة ( السلوفان ) التى كانت تغلف قطعة الشيكولاتة :

قدمت لى علبة مذهبة انيقة ممتلئة عن آخرها بقطع الشيكولاتة الفاخرة ..

ـ ذلك الفتى ( تامر فوزى ) جيد أيضًا ، لـولا إصرار المخرج على إسنـاد البطولات لنجوم ذوى أسماء معروفـة ، لرشحته لدور البطولة المطلقة ..

هزت ( سارة ) كتفيها ، ثم شبكت أصابعها قائلة :

ـ إنه ممثل بارع ، لكن به شعرة من جنون !

هـأنذا أقتادهـا إلـى حيـث أريـد ، سـألتها متظـاهرة باللامبالاة :

ـ تقصدين جنون الفن المعهود ؟!

ـ ربما ، فهو عصبى متقلـب المـزاج إلـى الحد الـذى أفقد معه مفاتيح التعامل مع شخصيته ، بل إننـى أفزع منه فى أحايين كثيرة ، تصورى أنه ثار علىّ فـى إحدى البروفات لدرجة أنه هددنى بالقتل ؟!

فقدت السـيطرة علـى انفعـالاتى التمثيليـة وسـألتها باهتمام شديد لم أفلح فى إخفائه :

ـ هل تقصـدين تلك الورقـة التـى عثـرت عليهـا فى حقيبتك ؟!

هزت رأسها الجميل نفيًا وهى تُتَأتئ أن لا ، ثم قالت :

ـ برغم ظنى أنـه هو من يمزح معى بهذه الحركة الصبيانية ، إلا أنه قد ثار مرة بالفعل و صاح بى أمام الجميع : سأقتلك ، سأقتلك !

إنى أرى رءوسًا قد أينعت وحان وقت قطافها ، كما قال ( الحجاج بن يوسف الثقفى ) فى كتب التاريخ لأهل ( العراق ) ، ولكن صبرًا جميلاً ، فالرؤية ما زالت تثبت شيئًا فشيئًا ..

لا أدرى لماذا شعرت أن هذه الفتاة لم تعرف شيئًا بعد عن الجريمة ، لذا فقد سألتها :

ـ وماذا عن ( إقبال بدوى ) ؟!

أجابتنى بسؤال مصحوب بحاجبين منعقدين :

ـ ومن تكون هذه ؟!

ظنى فى محله ، وإن كنت لا أعرف كيف يمكننى الاستفادة من هذه النقطة بعد ..

ـ ألم تسمعى عما حدث بالجامعة أمس ؟!



قالت فى غير اهتمام :

ـ كلا ، لم أذهب ولا يهمنى أن أعرف ..

ثم برقت عيناها الخضراوان وهى تضيف فى شغف :

ـ فلنتحدث بشأن المسلسل الذى رشحتنى له ، مَن مِن النجوم سيشارك فيه ؟! وما هى قصته ؟!

يا إلهى ! هل سأضطر إلى تأليف قصة مسلسل تلفزيونى بالكامل وأنا جالسة لا بى ولا علىّ ؟! إنها تضعنى فى مأزق لا فكاك منه إلا كشف الحقيقة ، والموت عندى أهون من الخروج من منزلها مطرودة !

سأؤلف لها قصة المسلسل و أمرى للّه !

الحمد للّه ، جرس الهاتف سينحنى متسعًا زمنيًا للتفكير ..

ـ عن إذنك دقيقة واحدة !

قالتها تستأذننى ببسمة جذابة كفيلة بإيقاعى فى هواها لو كنت رجلاً !

هيا يا ( نسرين ) ، اقدحى زناد أفكارك ولتأتى بفكرة مسلسل تلفزيونى ، بالتأكيد هناك شاب و شابة يبغيان الزواج لكن الفقر لهما بالمرصاد ، سيسافر الفتى ليعمل فى الخارج وستبقى الفتاة فى انتظاره حتى تقنعها أمها بالزواج من الثرى الذى ..

هل هناك من يقول إنها أفكار قديمة ومستهلكة ؟! وما المشكلة ؟! إنها مازالت صالحة للاستخدام الآدمى ، وأتحدى أن يخلو مسلسل تلفزيونى - اللهم إلا الندرة - من هذه التيمة المكررة التى أتحفتنا وأتخمتنا بها القنوات التلفزيونية جمعاء ..

هاهى ذى ( سارة ) قادمة ، تقول فى حبور وبسمتها الجذابة قد اتسعت :

- إنه هاتف لك يا أستاذة ( نسرين ) ..

ارتفع حاجباى حتى كادا يقفزان من فوق وجهى ، وأنا أسأل فى ذهول لا تنقصه البلاهة :

- لى أنا ؟!



هزت رأسها بالإيجاب ، ثم قالت :

- إنه مخرج المسلسل !

- من ؟!

هل هذه الفتاة مخبولة ؟! أم أنها تضع روايتى لها فى اختبار كشف للكذب ؟! كيف والهاتف قد رن بالفعل ، والسعادة المطلة عبر ملامحها الفاتنة تصرخ بصدقها ؟!

صفقت بيديها - كطفلة مغتبطة - قبل أن تقول :

- لقد أثنى على صوتى فى الهاتف ، وقال إنه سيحدد موعدًا للقاء الشخصى واختبار الكاميرا ويكلفك أن تبلغينى إياه ..

ما هذا الهذر ؟! ما الذى يحدث بحق السماء ؟!

- قال أيضًا إنه يريدك فى أمر مهم لا يحتمل التأجيل ، لهذا اتصل بك هاهنا !

يجب ألا أفقد اتزانى ، وأن أحتمل وخز الأفكار التى تؤلم رأسى كغابة من الأشواك ، وأن أنهض فى بساطة متجهة نحو الهاتف الأنيق الرابض فوق منضدة رخامية

فى ركن منزو ، ثم أحمل سماعة الهاتف محاولة السيطرة على ارتجاف صوتى وأنا أنطق بلفظ الاستهلاك التليفونى المعتاد :

ـ آلو ..

جاءتنى ضحكته المجلجلة ، فعرفته على الفور ..

ومن يكون غير السيد ( س ) الذى يباغتنى دومًا حيث لا أتوقعه ؟!

ـ حيلة بارعة يا صغيرتى ، انك تنافسيننى فى التلون بألف لون ولون !

هذا الرجل الغامض يتنصت على مكالماتى الهاتفية ، أكاد أجزم بهذا ، وإلا فمن أين عرف بأمر الحيلة التى أمارسها الآن ؟!

كنت فى وضع حرج للغاية ، فلن أستطيع الحديث معه على راحتى إذ لا بد أن ( سارة ) معنا الآن بأذنها من بعيد ..

ـ نعم !



هذا كل ما استطعت قوله فى ظل الأوضاع الراهنة ، وكان يدرك ذلك بالطبع فقال :

ـ كل ما أريد قوله لك هو أنك تلعبين فى الملعب الخطأ !

انعقد حاجباى وأنا أسأله بعد لحظة صمت :

ـ كيف ؟!

ـ القاتل أعرج حقيقى !

ـ ماذا تعنى ؟! أن ..

كان قد أغلق الخط فى وجهى ، تاركًا إياى أضرب أخماسًا فى أسداس ، والحابل فى عقلى يختلط بالنابل ..

إنه بكل بساطة ينفى كل استنتاجاتى المفزعة بشأن (تامر فوزى ) ، ويحول كل اهتمامى نحو أعرج حقيقى !

ومن غير ( راضى ) أعرج حقيقى فى هذه القضية ؟!

الخطوة القادمة تفرض نفسها علىّ ، لا بد من أن أرى ( راضى ) المقبوض عليه على ذمة التحقيق الآن ، وبسرعة ..

مازال النهار فى بدايته ، أمامى متسع من الوقت ..

إلى المباحث الآن فورًا ..

لكن ..

هل سأنجح فى الفرار خارج هذا المنزل ، دون أن اضطر إلى سرد قصة المسلسل المفبركة لهذه الفتاة التى تحلم بالشهرة والنجومية ، والواقفة أمامى وفمى عندها شبق حقيقى لأن تسمع منى حتى المساء ؟

لا أظن الأمر سيكون بهذه السهولة ..

★ ★ ★



# تهديد آخر !

« .. كلا بالقطع ، إنى أعرفه جيدًا ، مستحيل أن يفكر حتى فى فعلها .. »

★ ★ ★

من إذن ؟!

هل هناك أعرج ثالث لم أنتبه له ؟!

★ ★ ★

ـ مازلت إذن كعهدى بك ..

قالها ( هشام ) فى إحدى محاولاته المتكررة والناجحة للغاية فى أن يبدو سمجًا ، لكنه لن يتغلب على أبدًا فى هذا المضمار ..

ـ أعلم ما تود قوله ، سيقتلنى جنونى أو تهورى هذين يومًا ..

ـ اعتقدت أنك ستلزمين الفراش أسبوعًا على الأقل من أثر صدمة الحادث ، أى فتاة اكتشفت جثة هامدة فى مكان مظلم كمسرح الجامعة كانت ستفعل ..

وأضاف كأنه ( كونفوشيوس ) يلقى بواحدة من تعاليمه الخالدة لأحد تلاميذه :

ـ أو أن الأنوثة قد انقرضت بالفعل فى هذا الزمن العنين ..

نقاش كهذا كفيل بجعلى أتناول مائة قرص من ( الأسبرين ) على الأقل فى محاولة للتغلب على الصداع الذى سيسببه لى ، لكنى لن أجعله يهنأ بصمتى مهما كان ألم الصداع حادًا ..

ـ لو كنت تقصد بالأنوثة ذلك المفهوم الأخرق الملىء بالسلبية والخنوع والضعف والهشاشة ، فهنيئًا للبشرية بانقراضها ..

صمت هو هنيهة بدا أنه يحاول فيها أن يجد ردًا مناسبًا ، لكنه أيقن بينه وبين نفسه ـ كما بدا ـ



أن محاولته لهزيمة صحفية مشاغبة ـ هى لسوء حظه خطيبته ورفيقة أيام عمره القادمة ـ فى ميدان المحاورة هى محاولة فاشلة بكل المقاييس ..

غاص فى مقعده الجلدى ، حتى إن رأسه كاد يسقط بين كتفيه ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ تريدين إذن لقاء ( راضى عبد المنعم ) ..

أكره أن يتصور أى إنسان فى الدنيا ـ حتى لو كان (هشام ) نفسه ـ إنه يتلاعب بأعصابى ، لذا تجدنى دومًا أرجمه بعباراتى الفظة المتحجرة ..

ـ أنت تكرر ما قلته من فورى ..

ابتسم أكثر وهو يقول :

ـ إنك محظوظة حقًا ، لو تأخرت قليلاً لما وجدته لدينا هنا ..

قطبت حاجبى وأنا أسأله :

ـ لماذا ؟ هل ستخلون سبيله ؟

ـ القانون يمنحه هذا الحق نظير كفالة مالية محددة القيمة ..

ـ أى أن الشكوك حوله لم تتهاو بعد ..

ـ هذا صحيح ، كل ما هنالك أن بعض ذويه قد جاءوا لضمانه ، وهم الآن يسددون قيمة الكفالة المالية فى الخزينة ..

ـ هذا يعنى أن الوقت ضيق ..

قلتها وأنا أنهض فى سرعة تليق بفتاة عملية مثلى ، ثم أردفت سائلة :

ـ وأين هو الآن ؟

نهض ( هشام ) فى تثاقل واستخدم إبهامه فى الإشارة للجدار من خلفه قائلاً :

ـ فى الحجرة المجاورة لى تمامًا ..

سبقته نحو الباب ، ومددت يدى أقبض على المزلاج قائلة :



ـ هيا بنا إليه إذن ..

وفتحت الباب بينما ( هشام ) يغمغم فى تحذير :

ـ لا أظنه سيتحدث بسهولة ..

أردت الرد على ( هشام ) ، وأردت العبور من الباب المفتوح إلى الخارج ، لكنى صمتّ بعد أن كدت أصطدم بذلك الشخص الواقف أمام الباب فى اعتداد ..

شخص أعرفه وتعرفونه جيدًا ، لكن وجوده فى هذا المكان فجر فى أعماقى بركانًا من علامات الاستفهام كلها بلا إجابات مقنعة ..

ـ ( تامر ) ؟

كان يقف سادًا الباب بمنكبيه العريضين ، واضعًا يديه فى جيبى معطفه الجلدى الفاخر ، والنصف ابتسامة المعهودة تتراقص فوق شفتيه ..

ـ عمتما صباحًا يا سادة ..

اربدّ وجه ( هشام ) وقد تذكر بالتأكيد شجارنا السابق حول هذا الشخص ، وأسرعت أنا بالتخلص من دهشتى قائلة لـ ( تامر ) فى محاولة لاحتواء الموقف :

ـ أى رياح طيبة ألقت بك إلى هنا ؟

قال ( تامر ) وقد فهم مرادى :

ـ لم أحضر لأجلكما خصيصًا هذه المرة ، وإنما للتبليغ عن حادث ..

سألته وقلبى يدق فى عنف :

ـ هل وقعت جريمة أخرى ؟

هز رأسه نفيًا ..

ـ ستقع ..

ـ ماذا تعنى ؟

سأله ( هشام ) هذه المرة وقد استشعر الخطورة فيما يقول ، فأجاب :

ـ لكل شىء بوادر ، وأول الغيث قطرة ..

يصر على الحديث بالألغاز ، لابد من سؤال قاطع :

ـ ما الذى حدث بالضبط يا ( تامر ) ؟



قال وهو يناولنى ورقة مطوية ، بدا شكلها مألوفًا لـى للغاية :

ـ انظرى ، هذا ما وجدته بـالأمس فـى جيب سترتى هذه عندما عدت للمنزل ..

فضضتها بسرعة ، فلم تكن تحمل سوى ثلاث كلمـات ، كتبت بحبر أحمر كأنه الدم ..

« الموت للوجيه المأفون » ..

وبدون إمضاء ..

★ ★ ★

« .. أحدهم هاهنا يمزح مزاحًا سخيفًا ! » !

★ ★ ★

## راضى عبد النعيم ..

احتمال واحد من اثنين ، قد يكون لهما ثالث غائب عن بالى ، فأنا فى النهاية بشر قد أصيب وقد أخطئ ..

• إما أن ( تامر ) هذا ألعبان كبير ، يحاول ببراعة أن ينقل أحداث خياله من خشبة المسرح إلى خشبة الواقع ، ويبعد أنظارنا عنه بهذه الحركة استعدادًا منه للفتك بضحيته الثانية ..

• أو أن يكون ( راضى ) هو القاتل ، وهو بالتالى أخطبوط له ألف ذراع ، يستطيع وضع رسالة كهذه فى سترة ( تامر ) وهو رهن الحبس الاحتياطى فى قضية قتل سابقة لفتاة بريئة ..

الاحتمال الأول ينفيه قول السيد ( س ) عبر الهاتف إن القاتل أعرج حقيقى ، وتؤكده كل الشواهد المنطقية والعقلانية الأخرى ..



[illegible] ينفيه المنطق والعقل ، ويؤكد هذا [illegible] معه فى الحجرة المجاورة ..

★ ★ ★

كان بائسًا ، هذا أقل ما يمكننى أن أصف به ( راضى ) إبان مقابلتى له ..

مكسور النظرات ، شارد الذهن ، منتفخ العينين من فرط الأرق والبكاء والإرهاق ..

حزن إنسانى نبيل يسمو فوق قدرات البشر العادية ـ بل والخارقة ـ على التقمص والتمثيل ..

ـ السلام عليكم ..

قلتها على استيحاء وأنا أجلس أمامه ، صمت طويلاً وهو يرمقنى بنظراته التى أغرقها الحزن فى بحر لابداية له ولا نهاية ، حتى استطاع أن يقول بصعوبة :

ـ هل من خدمة ؟

أتبعها بتنهيدة حارة لفحت سخونتها وجهى ، كيف تهزمنا الأشجان بهذه السهولة ؟

كيف ؟

ـ كـ .. كنت أريد أن ألقى عليك بعض الأسئلة ..

قال ( هشام ) مفسدًا علىَ الأمر بطريقته الخاصة :

ـ إنها صحفية بجريدة ( الأربعاء ) يا راضى ..

عادة سيئة أن تجيب عن أسئلة لم يوجهها إليك أحد ، ذكرونى أن أجعله يقلع عنها مع التدخين ، لا تنسوا باللّه عليكم ..

قال ( راضى ) متحاملاً على نفسه :

ـ لقد سألونى عن كل شىء ، لم يتركوا صغيرة أو كبيرة إلا وألقوا بها فى وجهى ..

قلت محاولة أن أبدو ودودًا :

ـ أنا أبغى مساعدتك ..

قال فى مسحة من سخرية مريرة :

ـ كلهم قالوا ذلك ..

لن تجدى المراوغة مع هذا الرجل الحزين حتى الموت ، المباشرة هى الحل الأمثل ..



ـ ألم تقتلها حقًا يا ( راضى ) ؟

تجمدت ملامحه ، ولاحت سحابات الدمع المترقرقة فى عينيه بعد سؤالى الجارح ..

صمت طويلاً جدًا هذه المرة حتى إننى كدت ألقى بسؤالى مجددًا ، قبل أن يقول :

ـ وما جدوى الإجابة إذا كنت لن تصدقينى ؟

ثم أمسك بنسخة مطوية لإحدى الصحف الشهيرة كانت بجواره ، وألقاها نحوى وهو يتابع هاتفًا :

ـ كلهم لم يصدقونى ، لا الشرطة ولا النيابة ولا حتى الصحافة ، انظرى .. الصحف كلها أشارت إلى قصة حب من طرف واحد كانت السبب فى جريمة القتل ، لقد صنعوا منى فارسًا مهزومًا ، قاتلاً أراد النيل من امرأة رفضته بلا أدلة ..

وانهار باكيًا ، وصاح وهو يدفن وجهه بين راحتيه :

ـ أنا لم أقتلها ، صدقونى ، لم أقتلها ..

يا للمأساة ..

هكذا تصنع وسائل الإعلام من الأبرياء ـ حتى تثبت إدانتهم ـ مجرمين وسفاحين لمجرد ( الفرقعة ) وملء المساحات الشاغرة ..

هذا الرجل برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، أستطيع أن أقسم على هذا ..

ولكن من يكون القاتل إذن ؟

من ؟!!

★ ★ ★

« القاتل أعرج حقيقى ! » ..

★ ★ ★



# ضحية أخرى !

أعشق لوحة السماء ساعة الغروب ..

لوحة شديدة التفرد ، تتغير يوميًا ، تتأرجح ألوانها ما بين البهجة والحزن ..

اليأس والرجاء ..

الأفراح والأتراح ..

الدمعة والابتسامة ..

جلست وحدى ـ كالمعتاد ـ فى الشرفة أتسلى بالتفكير فى مواجهة صقيع الليل المهاجم ، أحاول ترقيع الثوب المهلهل لهذه القضية التى تزداد غموضًا فوق غموض مع كل خطوة أخطوها نحو سبر أغوارها ، أشعر بأننى أدور حول نفسى كالليمونة الدائخة ، يسقطنى الدوار ، لكنى أنهض من جديد عائدة مرة أخرى إلى نقطة البداية ..

أين السيد ( س ) الآن لينتشلنى من مستنقع الأفكار الراكدة الذى ألقانى فيه بنفسه ؟

أين هو ليرشدنى إلى جادة الصواب ، ولينبهنى إلى ما أنا غافلة عنه ؟

أين ؟

جرس الهاتف .. هاهو ذا ..

هرعت نحو الهاتف بسرعتى القصوى لأكتشف فى النهاية أنه جرس الباب ..

لا يهم ، سيظهر إن عاجلاً أو آجلاً ..

أنا واثقة من هذا ..

فتحت الباب ليطالعنى وجه عم ( خضر ) البواب ..

ـ مساء الخير يا ابنتى ..

ـ مساء النور ، خيرًا إن شاء اللّه يا عم ( خضر ) ..

لا يرينا عم ( خضر ) طلعته البهية إلا فى ثلاثة أوقات محفوظة من كل شهر ، مرة بفواتير الماء والكهرباء



والغاز ، ومرة أخرى ليأخذ مستحقاته الشهرية المكتسبة من كل شقة على حدة ، ومرة ثالثة وأخيرة ليحذر السكان إذ سيتغيب سيادته لمدة يومين ـ يتكررا شهريًا ـ كإجازة للاسترخاء والعودة إلى الجذور ، هناك فى أدغال الجنوب ..

إنه ( البيه البواب ) كما اتفق سكان البناية أن يطلقوا عليه ، وهم محقون ، تصوروا إنه يستأجر صبيًا من ( الجراج ) المجاور للبناية ليمسح عنه السلم مرة كل أسبوع ..

ـ كل خير يا ابنتى إن شاء اللّه ، لقد جاء شخص ما وترك لك هذه الرسالة ..

أمسكت بالمظروف الوردى الرقيق المرسوم عليه من الخارج زهرة زرقاء جميلة ، وأنا أعقد حاجبىَ فى استغراب شديد ..

قربت المظروف من أنفى ، انه معطر أيضًا ..

كلا يا بنات ـ عذرًا ، الصبيان يمتنعون عن هذه الفقرة ـ إنه ليس خطيبى ( هشام ) ، فهو ليس رومانسيًا

إلى هذه الدرجة ، صحيح أنى مثلكن جميعًا أحلم بأن يرسل لى خطابًا غراميًا كل يوم ، وبأن أصحو ليلاً فأجده واقفًا تحت شرفتى يغنى « أنا لك على طول » على أوتار الجيتار الحنون ، وخلفه كورال من أصدقائه يرددون خلفه ، لكنى مثل غالبيتكن تكيفت مع أمرى الواقع ، ورضيت بالقليل ، فلا أحد فى هذا العالم بلا مثالب ..

من عساه يكون إذن ؟

كان الفضول قد قتل عم ( خضر ) لمعرفة كنه هذا الخطاب الرقيق المعطر الذى كلف بتوصيله لفتاة مخطوبة مثلى ، وقد غلبنى فضولى أنا الأخرى فمزقت المظروف المغلق أمامه وأنا أسأله :

ـ من هذا الشخص يا عم ( خضر ) ؟

هز كتفيه مجيبًا دون أن يحول عينيه عن يدى الممسكتين بالخطاب :

ـ العلم عند الله يا ابنتى ..

داهمنى خاطر مفاجئ ، فسألته قبل أن أفض الخطاب :

ـ وما شكله ؟



ـ شاب كآلاف ممن نراهم يوميًا ..

ـ شكرًا يا عم ( خضر )..

قلتها وأغلقت الباب إذ كرهت نظراته المتطفلة التى كاد يشتعل لها الخطاب فى كفى ، ثم أخذت عيناى فى العدو فوق السطور القليلة ..

صغيرتى ..
وجيه القرية هو الضحية الثانية ..
سيقتله الأعرج ..
فهل تستطيعين منع القدر ؟
( س )

لم أفكر كثيرًا ، ولم أستسلم لنبضات قلبى التى صارت أشبه بضربات القدر لـ ( بتهوفن ) ، كل ما أستطيع فعله الآن هو وضع أكبر كمية ممكنة من الملابس فوق جسدى المرتجف ، و النزول لأخذ سيارة أجرة ..

ـ الجامعة من فضلك ..

★ ★ ★

# القسم الثالث

# القـــاتل !

(لقد اكتشفت الجثة الأولى على خشبة المسرح ..

فهل أجد الثانية هناك أيضًا ؟

أم أننى سأستطيع منع القدر ؟!)





هتفت وأنا أقترب من بوابة الجامعة عدوًا :

ـ كابتن ( طارق ) .. كابتن ( طارق ) ..

التفت نحوى مستغربًا ، ثم سأل مستفهمًا :

ـ ماذا هناك يا آنسة ( نسرين ) ؟!

قلت وأنا أغالب لهاثى المتواصل :

ـ هـ .. هل .. ( را .. راضى عبـ .. عبد المنعم ) بـ .. بالداخل ؟!

نظر إلـى كأنـه ينظر هاربـة من مستشفى الأمراض العقلية ، ثم هز كتفيه قائلاً « وكـان بالتـأكيد يرثـى لحال صديقه ( هشام ) الذى رزقه اللّه خطيبة مجنونة مثلى » :

ـ لقد حضر بالفعل منذ الظهيرة ، ولا أدرى إن كان مازال بالداخل أم ..

قاطعته فى عجلة :

ـ و .. وماذا عـ .. عن ( تامر فوزى ) ؟!

عقد حاجبيه متسائلاً :

ـ من ( تامر فوزى ) هذا ؟!

إنه لا يعرفه إذن .. لا يهم !

ـ شكرًا يا كابتن ..

تركته وعبرت البوابة نحو الداخل وأنا أعلم أنه لن يمنعنى من الدخول ولن يصر على أن يصحبنى أحد هذه المرة ، فأبواب الجامعة لم تغلق بعد ومازالت هناك كليات تمارس أنشطتها التعليمية حتى هذا الوقت المتأخر « السادسة مساءً تقريبًا » ، وكطالبة هنا فمن حقى الدخول فى أى وقت أشاء ما دام هذا الحق معطى لأى طالب غيرى !

كنت أهرول نحو المسرح وكأن ( نداهة ) تسكنه قد نادتنى فلبيت ..



إن ( راضى ) هنا كما توقعت ، وهذا يعنى أن هناك احتمالين متساويين فى الأهمية لا ثالث لهما ، ظللت أفكر فيهما طيلة الطريق وأنا فى سيارة الأجرة ..

• ( تامر ) هو القاتل ، وسيقتل ( راضى ) هنا كما قتل ( إقبال ) إشباعًا لرغباته ونزواته الفنية المريضة التى حولته إلى قاتل متسلسل ربما لا يقنع بضحية ثانية ، أو ثالثة ، أو عاشرة كنهاية لـ ( البارانويا ) الدموية التى انتابته ..

• ( راضى ) هو القاتل ، وهو ناقم على شخص لا أعرفه ، يصلح بكل تأكيد لأن يكون ( وجيه القرية ) المزعوم ، فهو يسخر منه دومًا ومن عرجه ، وهو لم يخرج اليوم بكفالة مالية إلا لتنفيذ الجزء الثانى من الانتقام ..

أيهما القاتل ؟!

هذا هو السؤال ، ولن تمضى الليلة حتى يجيب عن نفسه ، إحساسى الداخلى يؤكد لى هذا ..

زدت من سرعة خطواتى محاولة الوصول قبل أن يكسو السواد صفحة السماء ، فالأفق كان لا يزال مضيئًا بزرقة شفافة تعلن عن مقدم الليل ، سلطان الظلام ..

رسالة السيد ( س ) جاءت واضحة ، هناك ضحية أخرى بريئة ستذهب فى رحلة من اتجاه واحد إلى العالم الآخر ، رحلة أبدية ، ذهابها بلا عودة ، أو لعلها قد أسلمت الروح بالفعل ، وهنيئًا لمنجل ( ملوك الموت ) ذى العباءة السوداء الطويلة ، والجمجمة العظمية ، والعينين الحمراوين ..

هاهو ذا مبنى المسرح يتراءى لناظرىَ من بعيد ..

لقد اكتشفت الجثة الأولى على خشبة المسرح ، فهل أجد الثانية هناك أيضًا ؟!

أم أننى سأستطيع منع القدر ؟!

لن أتفاعل إلى هذا الحد ..

الحصار الأمنى قد خف حول المسرح ، لأكن دقيقة أكثر



وأقول : إنه قد تلاشى تقريبًا ، لا أرى ـ من مكانى هنا خلف شجيرة أطول منى قليلاً ـ إلا جنديًا واحدًا يجلس أمام بوابة المسرح الرئيسية ، وعم ( فتحى كمبوشة ) يخف إليه حاملاً صينيته الخشبية المتواضعة ، وفوقها كوبان من الشاى الأسود ( المتين ) ..

ـ الشاى يا دفعة !

دائمًا يلقبون عساكر الشرطة أو الجيش بلقب ( دفعة ) ، لماذا ؟! لا أدرى ، ولا أظننى سأدرى إذ فاتت فرصة التحاقى بكلية الشرطة أو الحربية ، وأنا معافاة من التجنيد الإجبارى لأنى ( عائلة ) أبى الوحيدة !!!

هناك مشكلة صغيرة فى هذا الموقف السخيف ، ألا وهى عدم استطاعتى دخول المسرح لأن هذا ( الدفعة ) سيمنعنى بالتأكيد ..

ماذا أفعل ؟!

وجدتها ، سألجأ لعم ( فتحى ) ، فيساعدنى فى حل

هذا الإشكال ..

يبدو أن علاقته طيبة بهذا ( الدفعة ) ، الذى يلقى الآن بنكتة لا أسمع منها إلا النذر اليسير نظرًا لبعد المسافة ، سأصيخ السمع وأرهفه أكثر ..

عم ( فتحى ) يضحك ويضرب كفه بكف ( الدفعة ) هاتفًا :

أنت كارثة يا .. ما اسم الكريم ؟!

ـ ( سلامة قناوى ) ..

ـ اشرب أعظم شاى ستشربه فى حياتك يا أبا السلامات ، شاى أسود ( متين ) ..

سأذهب لانتظار عم ( فتحى ) عند غرفته الضيقة الملحقة بالجانب الآخر من المسرح ، ولأتفاوض معه ـ عندما يعود ـ حول سبل الاستفادة من هذه العلاقة الجديدة التى نشأت بينه وبين الدفعة كأنها سمن على عسل !



لا بد من أن أدخل المسرح الليلة ، لا بد ..

تسللت بعيدًا على أطراف أصابعى ، ونجحت فى الوصول للغرفة ، لأجلس هاهنا انتظارًا له عسى ألا يغيب طويلاً ..

ولكن .. ما هذا ؟!

إن باب الغرفة نصف مفتوح ..

ما المشكلة ؟!

وعلام سيخاف عم ( فتحى ) ؟! على ( الفيديو ) أم ( الديب فريزر ) ؟!

إننى من هنا أستطيع رؤية محتويات غرفته كلها على الضوء البرتقالى للمصباح الكهربى المعلق فوق الباب ، السرير العتيق والمقعد الخشبى والمرآة المشروخة المتسخ ..

مهلاً ..

هناك خطأ ما !

المرآة المشروخة المتسخة لم تكن فى هذا الجانب أمس ..

أنا واثقة من قوة ملاحظتى ، ودرجات أدائى المرتفعة دومًا فى اختبارات « الفروق العشرة بين الصورتين » تشهد لى ..

وما المشكلة من جديد ؟!

ربما نقلها عم ( فتحى ) إلى هذا الجانب لسبب أو لآخر ..

لكن قلبى غير مطمئن ، إلا باقترابى أكثر ، ثم دخولى للغرفة !

تلفت حولى ، لم يكن هناك أحد ، تصوروا ماذا يمكن أن يقال عنى إذا شوهدت أدخل غرفة رجل وحيد ، حتى لو كان شيخًا طاعنًا فى السن كعم ( فتحى ) ؟

الفرجة بين الباب والجدار لم تكف لعبور جسدى الضئيل من خلالها ، دفعت الباب فأصدرت مفاصله أنينًا



حادًا مزعجًا ، ولحسن الحظ لم يكن هناك أحد ليلفت الصوت انتباهه ..

المسافة أصبحت كافية لعبورى إلى الداخل ، حمدًا لله !

الغرفة كما كانت بالأمس ، الظلام النسبى كان يسودها لكن ضوء المصباح الخارجى كان معقولاً ، كل شىء فى مكانه فيما عدا المرآة التى انتقلت من مكانها الأصلى فى الركن المظلم القصى لتوضع على الأرض هاهنا بجوار السرير ..

المقعد مازالت عليه أدوات إعداد الشاى ، أضف إلى ذلك تلك الزجاجة المنتفخة الصغيرة ..

ماذا تكون ؟!

حملتها وعرضتها للضوء القادم من الخارج عبر فرجة الباب ، إنها مجرد دواة للحبر ، والحبر كما يظهر من انسكابه على الحواف أحمر اللون ، كأنه الدم !

هل يعنى هذا شيئًا ؟!

كل شيء فى مكانه فيما عدا المرآة التى انتقلت من مكانها الأصلى فى الركن المظلم القصى لتوضع على الأرض ها هنا بجوار السرير ..

وضعت الدواة فى مكانها وأنا أغالب أفكارى ، واتجهت نحو الركن المظلم القصى الذى كانت المرآة عنده ، لكنى كدت أتعثر فى حبل غليظ كان مكومًا فوق الأرضية !

لا أريد التمادى فى أفكارى المفزعة ، بى من الخوف ما يكفى قارة كاملة لقرن من الزمان .. والمحقن الفارغ وزجاجة المادة الكاوية التى ما تزال عند طرف الحوض ؟؟!

كل هذا لا يعنى شيئًا محددًا ؟!

اقتربت من الركن المظلم الذى لم يبلغه الضوء ، أتلمس طريقى بيدى فى العتمة ..

هأنذا ألامس الجير الذى طليت به الجدران ، أتحسس بأطراف أصابعى الحائط كله لكن ..

ما هذه الفجوة المفرغة التى كانت تغطيها المرآة فى هذا المكان تمامًا ؟!

فجوة مربعة واسعة محيطها مطابق لمحيط المرآة ، تصلح لمرور جسد بشرى ضئيل ..

أى أنها صالحة تمامًا لعبور جسدى ، لا مفر من المغامرة ، لا مفر ..

احتملت براحتىَ على حافة الفجوة السفلية ، ثم بحركة رشيقة ـ ستعجب هواة ( الجمباز ) بالتأكيد ـ قفزت بداخلها ، وهويت لمسافة ليست بالهيّنة وسط ظلام دامس مخيف ، حتى صرخت عظامى بعد اصطدامى بأرضية أخيرًا !

نهضت وأنا أجاهد حتى لا أصرخ ألمًا ، فما الذى يدرينى أين أنا فى بحر الظلمات هذا ؟!

لن تصلح حتى طريقة المكفوفين فى تلمس المسار عن طريق حاسة اللمس ، فقد أسقط فى هوة تحت قدمىَ دون أن أستطيع لوم أحد إلا نفسى ..

أى مأزق هذا الذى وضعت نفسى فيه ؟!،

تذكرت ، إن البطارية لا تزال فى جيبى ، مع الاعتذار للروائى الراحل ( إحسان عبد القدوس ) ..



الحمد للّه الذى لم يشأ أن أبقى رهينة محبسى المظلم هذا حتى نهاية العمر ..

انبعث ضوء البطارية الواهن لينير لى المكان ، هذا أفضل من لا شىء على أية حال ..

أين أنا ؟!

المكان أشبه بقبو تحت الأرض ، غبار كثيف يكسو الأرضية ، وملابسى بالتالى ، لكنه لم يكن وقتًا مناسبًا للاهتمام بالأناقة على أية حال ..

الرطوبة تخنق أنفاسى !

سرت خطوات قليلة فى حذر شديد ، وأنا أسأل نفسى : هل هذا القبو خاص بالمسرح ؟!

لا أدرى ، لكن هذه الدرجات الصاعدة التى كشف عنها الضوء ستقودنى إلى مكان ما حتمًا ، مكان فوق الأرض أستطيع من خلاله الوصول لبيتنا حتى أغتسل من هذا التراب الذى يغطينى من فوقى لتحتى !

صعدت درجة فأخرى ، حتى اصطدم رأسى بسقف ، فتأوهت ألمًا ..

يا لغبائى ! ، كان من المفترض أن أوجه الضوء نحو الأعلى ما دمت أصعد ، خطأ قابل للإصلاح المرة القادمة إن كان لى عمر ..

« سيقتلك تهورك هذا يومًا » !

أنت محق يا عزيزى ( هشام ) !

دفعت السقف بيدى فأطاعنى بعد جهد جهيد ، أخيرًا سأغادر هذا المكان الرطب المترب !

صعدت بحركة جمبازية أخرى فوق أرض مستوية أقل رطوبة وترابًا ، هنيهة من الراحة بعد المجهود البدنى الشاق الذى بذلته كانت واجبة ، أضأت بعدها البطارية وفهمت أين أنا ..

إنها كواليس مسرح الجامعة ..

غرفة عم ( فتحى ) إذن متصلة بالكواليس عن طريق هذا القبو الخرب اللعين ..



هل أفهم من هذا شيئًا ما لا يريد عقلى أن يتصوره ؟!

لا ، لا ، اعقلى يا ( نسرين ) !

لتبحثى عن الضحية الثانية أولاً ، وسيكون لديك ما تريدين من وقت للتفكير فيما بعد ..

فيما بعد ..

اتجهت مسترشدة بضوء البطارية نحو خشبة المسرح ، ولم يخل الأمر من تصادم بسيط مع بعض قطع الديكور مرة أو مرتين ، ربما أكثر ..

ومع دوران الضوء فى أنحاء المكان ، توقفت فجأة عند منتصف الخشبة حيث كانت جثة الضحية الثانية ترقد فى غير حراك ..

جثة ( راضى عبد المنعم ) ..

الأعرج ..

الحقيقى ..

كدت أصرخ من الفزع برغم توقعى المسبق لما رأيت ، لكنى تمالكت نفسى بصعوبة ..

حتى سمعت صوت خطوات تدق من خلفى فى الظلام ، فالتفت وأنا أشهق فى رعب ، وسقطت أشعة الضوء الصادرة من بطاريتى فوق وجه القادم ..

وصرخت صرخة حادة طويلة ..

كانت المرة الأولى فى حياتى التى أصرخ فيها خوفًا ، أو فزعًا ، أو رعبًا ..

★ ★ ★



# القـــاتل ..

كان ( تامر فوزى ) يقف أمامى فى الظلام بشحمه ولحمه ، مغطى مثلى بالتراب ، وقد استطعت أن ألمح فى عينيه على الضوء الشحيح نظرة ذهول ..

انه لم يتوقع وجودى هنا بكل تأكيد ، لأضبطه متلبسًا بأداء جريمته ..

وقد أفزعته صرختى فانتفض ، وتوقعت أن يهاجمنى ويكممنى أو على الأقل ينهال بجسم ثقيل على رأسى فيرتاح منى وربما يلحقنى بـ ( إقبال ) و ( راضى ) اللذين راحا إرضاءً لنزعة مرضية عند إنسان يتوهم أنه فنان ، والفن منه ومن أمثاله براء ..

لكنه لم يفعل ، بل سأل فى توتر أجاد أداءه :

- هـ .. هل وجد .. ت قـ .. تيلاً آخر ؟!

لن يخدعنى تمثيله .. لن يخدعنى تمثيله ..

أشرت نحوه بسبابتى وأنا أخطو للخلف خطوات لا إرادية ، والبطارية مازالت فى يدى مصوبة نحو وجهه الغارق فى التراب والذهول ، مغمغمة فى وجل واضطراب :

ـ أنت .. أنت ..

فهم ما أريد قوله ، ويبدو أن ما فهمه هذا قد أحنقه فهتف :

ـ أنا ؟! تريدين القول إنى أنا القاتل ؟!

ـ أنت .. أنت ..

قال محاولاً الاقتراب منى عله يفلح فى تهدئتى :

ـ كيف ؟! لقد جئت فى أعقابك إلى هنـ ..

هتفت والخوف قد فعل بى أفاعيله الجهنمية :

ـ لا تقترب منى ، لا تقترب .. سأصرخ ، سأصرخ ..

وانطلقت صرخة أخرى من حنجرتى التى اكتشفت فيها لأول مرة هذه القدرة العجيبة على الصراخ كما تفعل



بقية الفتيات ، فهتف هو فى انزعاج بالغ وهو ينفض رأسه :

ـ كفى ..

وكففت ، لا انصياعًا لمطلبه ولكن دهشة لما حدث ، هو أيضًا صمت مراقبًا وذهوله يتضاعف دون توقف ..

لقد أضيئت أنوار المكان فجأة !

ليس هذا فحسب ، بل وأخذت الستارة الحمراء الكبيرة تنفتح فى بطء لتتبدى من خلفها المقاعد المتراصة الخالية تمامًا من أى متفرجين ..

ما هذا الذى يحدث ؟!

سؤال لم أستطع له نطقًا وإن هتف به لسان حالى فى جزع ..

ـ عم ( فتحى ) ؟!

ندت العبارة المتسائلة عن ( تامر ) فى استغراب واستنكار ، والتفت إلى حيث تنظر عيناه فرأيت العم

(فتحى كمبوشة ) واقفًا فى هدوء أمام بوابة المسرح ، ويداه مازالتا تعبثان بمفاتيح الكهرباء المثبتة إلى جوارها ..

ـ رائع ، جمهورى الليلة مكون من مشاهدين فقط ..

ألا يعنى هذا كله شيئًا محددًا ؟! أم أنك ما زلت مصرًا على المكابرة أيها العقل ؟!

ـ .. ولكن لا بأس ، لقد قطعا تذكرتين فى الصف الأول على ما أرى !

تجاهل ( تامر ) كل ما قال معتبرًا إياه تخريف عجائز ، وسأله :

ـ عم ( فتحى ) ، كيف استطعت الدخول إلى هنا ؟!

قال عم ( فتحى ) :

ـ من البوابة هذه يا صغيرى ..

وأضاف فى لهجة اشمئزاز :

ـ أنا خفير المسرح كما تعلم !



تقدم ( تامر ) نحو الدرجات الهابطة من فوق الخشبة فى خطوات واسعة ، وهو يقول مسرعًا :

ـ هيا بنا ، لابد أن نبلغ الشرطة الآن ..

هتفت أنا قبل أن يبلغ الدرجات فى هلع :

ـ كلا ، كلا يا عم ( فتحى ) ، انه يمثل ، يريد أن ..

توقف ( تامر ) ، بفعل هتافى أولاً ، وبفعل الضحكة العالية التى ندت عن عم ( فتحى ) فى موقف معتم كهذا ثانيًا ..

ـ يا للأطفال الأبرياء ، إنهم حقًا أحباب الله !

قالها الرجل الكهل الضئيل وهو يواصل ضحكه المجنون كاشفًا عن صفين من الأسنان القذرة المتساقطة ، وشجرة شيطانية لم تغرس لها بذور تنمو فى أعماقى ..

سأله ( تامر ) فى غضب :

ـ علام تضحك يا رجل ؟! لقد قتل شخص آخر هاهنا فى نفس المكان !

يواصل عم ( فتحى ) ضحكه المجنون بنبرات تعلو أكثر وأكثر ، والشجرة الشيطانية تواصل النمو فى داخلى ، وأكاد أشعر لها بأشواك تؤلم ..

ـ معذرة يا صغيرى ، إنك مهما فعلت ومهما طالت بك سنو العمر فلن تفهم سر كيمياء المسرح أبدًا ، إنها نهاية المسرحية ، وبرغم التراجيديا السوداء الغارقة فى دموع الجماهير ونهنهاتهم ، فقد تجد فى الصالة من يضحك دون أن يستطيع السيطرة على نفسه ..

الرجل بارد وثابت الجنان إلى حد مفزع ، والشجرة الشيطانية يخترق شوكها جلدى وتنبت فى أطرافها زهور قرمزية ..

هتفت فى عدم تصديق ، واضعة راحتى أمام فمى علها تكبح جماح ألفاظى :

ـ عم ( فتحى ) .. أنت .. أنت الذى ..

صفق عم ( فتحى ) فى حرارة ، ورددت جنبات المسرح صدى تصفيقه ، ثم قال :



ـ فهمت الصغيرة قبل الصغير ، دائمًا تسبق الفتيات الفتيان فى النضج العقلى ..

نقل ( تامر ) بصره بينى وبين عم ( فتحى ) ، قبل أن يسأل متوجسًا :

ـ ما الذى تريدان قوله ؟!

فرد عم ( فتحى ) ذراعيه هاتفًا فى نشوة :

ـ إنها مسرحيتك يا صغيرى ، ( أحدب نوتردام ) المعدلة ، كانت فكرة رائعة ومعالجة أكثر روعة ، الأعرج يتمرد على عاهته ويقرر الثورة على نفسه والآخرين ، أنت ، أنت من أوحى لى بفكرة الثأر لكرامتى المهدرة ..

ثم إنه أشار إلى نفسه مستطردًا :

ـ أنا الأعرج بكل ما فيه من كبت وتمرد وجنون ، أنا من سار حياته كلها على قدم واحدة ، نصف طفل ، نصف متعلم ، نصف زوج ، نصف أب ، نصف ممثل ، نصف ملقن ، نصف خفير ، حياتى كلها لم أعرف فيها سوى أنصاف الحلول .. تركنى أبى مع أمى وأنا فى

المهد ، ثم تركتنى المدرسة لأنى لم أقدر على سداد تكاليف العلم ، ثم تركتنى زوجتى آخذة معها طفلى الوحيد ، ثم تركنى المسرح الذى أخذ رحيق عمرى وزهرة أيامى ، وألقانى هاهنا .. «منبوذ ، مقهور ، لا حول لى ولا قوة ، سخرية القرية كلها كبيرها وصغيرها ، عاهتى مأساتى وضعفى وهزيمتى .. » !

تبادلت مع ( تامر ) نظرة لم يكن لها أى معنى ، واستمر عم ( فتحى ) يؤدى دور عمره بكل تلقائية :

ـ أنا أعرج أيضًا بالفعل ، هل تعلمان أن اسمى الخماسى فى البطاقة العائلية هو ( فتحى سليمان خليل حسن الأعرج ) ؟! إنه لقب عائلتى الفعلى قبل أن يلحق بى لقب ( كمبوشة ) ، ولا تندهشا ، فهناك عائلات لها أسماء أفظع مثل ( الأكتع ) و ( الأخنف ) و ( الحيوان ) وخلافه ..

« القاتل أعرج حقيقى » !

ـ أتعرفان ؟! أجمل الأدوار التى أديتها فى حياتى كانت فى مسرحية (فاوست) للعبقرى الألمانى (جوتة) ،



كنت أحد ساكنى جهنم من زمرة أتباع الشيطان ، وكان المسرح متوهجًا ، يشتعل بالنيران التى كادت تحرقنا فعلاً من فرط مصداقية الديكور والإضاءة والمؤثرات الأخرى ، لم أشعر فى حياتى بمثل هذا الصدق والتوحد يتكرران إلا مع ( الأعرج ) ، ( الأعرج ) فقط ، ومن خلاله قررت أن « .. لن أركن إلى ظلال صمتى بعد اليوم .. » وأنه قد « .. آن للبركان أن ينفجر حممًا ملتهبة فى وجه الجميع ، الجميع دون استثناء .. » !

وصمت ليأخذ نفسًا عميقًا قبل أن يتابع :

ـ لم يستغرق الأمر منى وقتًا طويلاً ، الأحداث كانت جاهزة والبروفات مؤداة منذ أمد بعيد ، ( راضى ) كان يحب ( إقبال ) ، وهى رفضته لأنه أعرج ، السر الذى لم يكن أحد يعرفه هو أننى كنت أحبها أنا الآخر ، ولكن فى صمت ، لم تعرف هى هذا أبدًا ، حتى وأنا أقتلها بيدى هاتين كنت أحبها ، لكنها كان يجب أن تموت ، النص المسرحى فرض على هذه النهاية المأساوية ، ومن أنا حتى أجرؤ على التغيير فى النص ، أنا الملقن لا أكثر ..

« .. الحقيرة ، سأجعلها تبكى على جمالها الفاتن الآسر لقلوب كل فتيان القرية ، سأجعلها تتحسر ـ مر الحسرة ـ على يوم واحد من أيامه الغابرة ، سأسكب ماء النار فوق وجهها النقى الطاهر البرىء براءة الملائكة ، فتعيش مثلى .. » فتموت مثلى ! ، لقد وضعت الرسالة الأولى فى حقيبة الفتاة التى تؤدى دور الغجرية ، كتحذير لم تنتبهوا إليه ، ثم خدرت ( إقبال ) وقتلتها ، ثم نقلتها إلى هنا عن طريق القبو ، ولم أنس « ماء النار » كما تقول القصة ، فلا أحب أبدًا مدرسة الخروج على النص ..

أبدًا ..

فزعت لما أسمع حتى الموت لكن لسانى انعقد فعجزت عن الكلام ، هل كان هذا أيضًا هو ما اعترى ( تامر ) الواقف إلى جوارى كصنم من الملح ؟!

واصل عم ( فتحى ) أداءه وهو يتحرك أمامنا كممثل فوق خشبة المسرح ، مع عكس الأوضاع :



ـ ثم كمنت فى بيات شتوى كضفدع مطارد ، لكنى ـ كممثل قديم يحفظ عن ظهر قلب كتاب ( إعداد الممثل ) لـ ( ستانسلافيسكى ) ـ قررت استكمال الدور حتى النهاية ، الانتقام من ( وجيه القرية المأفون ) الذى يسخر دومًا من عاهتى ، وهنا يبرز تناقض مسرحى نادر أشك فى أنه سيتكرر ، فوجيه القرية لدينا هنا أعرج بالفعل ! ( راضى ) كان يسخر منى دائمًا ، من عاهتى ، التلقين ، كان يظن نفسه ظريفًا ، ولم يعلم أن مرحه هو الطريق القصير إلى حتفه .. لقد جاء اليوم ليشهد الموقع الذى نفقت فيه الحبيبة ، وكان هذا مثاليًا تمامًا لإتمام المشهد ، « .. سأقطع ساقيه ـ غيلة ـ وهو بين أنصاره وشيعته ، فإما أن يعيش ما بقى له من العمر بساق مقطوعة كساقى ، أو أن ينزف حتى الموت .. » هكذا يقول النص !

صمت عم ( فتحى ) منتظرًا رد فعل الجمهور .. كنت أنا مغيبة تمامًا بفعل ما سمعت ، بينما تمالك ( تامر ) نفسه بسرعة هاتفًا فى حنق ساخط :

ـ أنت مريض ، مريض بعقدة اضطهاد مزمنة

لا أعتقد أن الرجل قد طلب تحليلاً نفسيًا لحالته ، لكن هذا أفضل من الصمت على كل حال .. وقد رد قائلاً فى استهانة :

ـ إننى أحاول علاجها بنفسى يا فتى ، فمن أين لى بأتعاب الأخصائى النفسى الباهظة ؟! ما أنا إلا ملقن وخفير مسكين « على باب اللّه » !

ثم إنه فرك كفيه ببعضهما متابعًا فى غبطة :

ـ أمامى عمل كثير الليلة على غير المعتاد ..

سأله ( تامر ) فى سخرية وقد حسب عقله الفارق المهول بين كهل ضامر العضلات متآكل العظام وشاب فى مقتبل العمر عريض المنكبين ممتلئ الجسم لصالح الثانى طبعًا :

ـ وماذا ستفعل بنا يا عم ( فتحى ) ؟!

قطع عم ( فتحى ) المسافة من أسفل ، صاعدًا درجات خشبة المسرح فى صمت باسم ، حتى انتهى به المطاف واقفًا فى مواجهة ( تامر ) وقد ظهر الفارق



بينهما جليًا ، حتى قال فى النهاية دون أن تفارقه ابتسامته :

ـ سأخرج عن النص بعد إذن حضرة المخرج الهمام ، سأقتلكما بالطبع ..

سأله ( تامر ) فى سخرية أشد ، وهو يرفع يديه لتكبيل عم ( فتحى ) :

ـ هل ستحقننى بمخدر أنا الآخر ؟!

انزلق عم ( فتحى ) من بين ذراعى ( تامر ) قبل أن يطبقا عليه ، واستدار فى خفة مستلاً سكينًا من بين ملابسه ، وصوبه لظهر ( تامر ) قائلاً فى جدية قاسية :

ـ بل سأغرس هذا السكين فى قلبك إن بدت منك حركة لا تعجبنى ..

توتر الموقف ، وقررت المقاومة على طريقتى ، فشرعت أصرخ مستغلة إمكانيات حنجرتى البكر ، عل معجزة تحدث ويسمعنى أى كائن حى فى الخارج ، لكن ابتسامة عم ( فتحى ) اتسعت وهو يقول فى سرور :

واستدار فى خفة مستلاً سكينًا من بين ملابسه ، وصوبه لظهر ( تامر ) قائلاً فى جدية قاسية :

- بل ساغرس هذا السكين فى قلبك إن بدت منك حركة لا تعجبنى ..

- اصرخى يا صغيرتى ، املئى الدنيا صراخًا كما تحبين ، الوحيد الذى كان من الممكن أن يسمعك هو الجندى المسكين القابع فى الخارج أمام بوابة المسرح ، وهو الآن يغط فى نوم عميق بفعل كوب ( معتبر ) من الشاى الأسود ( المتين ) !

يبدو معنى هذا الذى يحدث فظيعًا ، فوق قدرتى على التخيل والاحتمال ..

- هيا يا فتى ، قيدها بسرعة بهذه الحبال ، وحذار من أى حركة لا تعجبنى ..

وجم ( تامر ) وهو ينظر للحبال التى أشار إليها عم (فتحى ) ، ولم يبد حراكًا ، لكن السكين انغرس فى ظهره أكثر والأخير يهتف به فى قسوة لا تلين :

- هيا يا فتى ..

ثم ..

خيم الظلام فجأة !

سمعت أصوات ارتطامات ما ، وتأوهات ما ، وخطوات فى كل الاتجاهات ، لكنى انشغلت عن ذلك بمحاولتى الفرار من مسرح الأهوال هذا وأنا أصرخ ..

ومع عدوى الأعمى فى اللامكان المظلم ، سقطت متعثرة فى شىء ما ، و ..

أنتم تعرفون الباقى بالتأكيد ..

لقد فقدت الوعى ، هذا كل ما فى الأمر !

★ ★ ★



# حـــلم !

( روميو ) لا يجىء ..

كنت ( جولييت ) الجالسة فى شرفتها ليلاً تراقب القمر الكذوب ، وتنتظر مجىء ( روميو ) العزيز بصحبة ورد ، وبسمة حب ..

غاب ( روميو ) كثيرًا .. أين تراه يكون ؟!

هل يكون هو صاحب الظل الدانى من بعيد ؟!

- ( روميو ) ؟! أأنت ( روميو ) ؟!

يجىء صوته بغير صوت ..

- لست بـ ( روميو ) !

يبدو كدمية فى مسرح خيال الظل ، ولكن .. دمية بهذا الإتقان ؟!

- من أنت ؟!

أسأله فى لهفة حقيقية للمعرفة ..

ـ أنا ( هاملت ) ..

المتردد دومًا بين الفعل والإخفاق ؟!

ـ حقًّا ؟!

بى شوق لتصديقه ، ولكن لماذا يبتعد الضوء عن وجهه كأنهما الماء والزيت ؟!

ـ لكنك تشبه حبيبى ( روميو ) !

أقولها فيما يشبه اليأس !

ـ لا ملامح لى حتى أشبه أحدًا ..

يرفع يده الرمادية مشيرًا إلى الظلام ..

ـ هاهو ( روميو ) الذى تبحثين عنه ..

تضىء فى الظلام بقعة ضوء ، أرى فيها وجه ( هشام ) !!

ـ أنا ذاهب الآن ..



أستوقفه ، أريد أن أعرف أهو ( هاملت ) حقًّا أم يدعى ..

ـ انتظر ، اكشف لى عن وجهك ..

يبتسم ابتسامة لا أراها وإنما أشعر بها ..

ـ ليس الآن !

ـ متى ؟!

يكاد غموضه يذهب عقلى ..

ـ دعى الأيام تقرر هذا بنفسها !

أدرك أنه ذاهب لا محالة ، ليس أمامى سوى اقتناص وعد منه بالعودة ..

ـ لا تغب كثيرًا ..

ـ لا تخافى ، أنا لا أستطيع ..

يكاد قلبى ينخلع جزعًا لفراقه ..

ـ حقًّا ستعود ؟!

يبدأ رحلة التلاشى والابتعاد ..

ـ حقًا ، يا أجمل ( جولييت ) فى الوجود ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..

وأبقى أنا وحدى ..

كالمعتاد !

★ ★ ★



# نهـــاية ..

سيل من المكالمات انهمر علىّ يسأل عنى ، بعد انتشار قصة الحادث بين طلبة الجامعة كأنها النار فى أعواد حطب مبللة بالبنزين !

اضطررت فى النهاية لإغلاق جرس الهاتف ، حتى أنتهى من التحقيق الذى أريد الانتهاء منه الليلة لأعرضه على السيدة ( ألفت ) فى مقر الجريدة غدًا ..

كنت قد انتهيت من كتابة ست صفحات ( فلوسكاب ) عن الحادث ، ساردة أدق التفاصيل ، بما فيها ظهور السيد ( س ) المتكرر ، وكيف أنهى القضية كالمعتاد بشريط تسجيل أنيق أرسله لإدارة المباحث الجنائية يحوى اعتراف ( فتحى كمبوشة ) أو (فتحى الأعرج ) لى أنا و ( تامر ) فى المسرح بارتكابه الجريمتين ، ولم ينس

أن يرفق تعليقًا ساخرًا مع الشريط كما يحلو له أن يفعل دومًا ..

« لمزيد من الشرائط الاتصال بمسرح ( س ) فى ( الدقى ) .. »

هاتف .....

« رجاء الحجز مقدمًا نظرًا للإقبال الجماهيرى الشديد ! »

رويت عن ( الدفعة ) ( سلامة قناوى ) الذى لا وجود له ، والذى لم تتركه الشرطة لحراسة المسرح ، والذى هو السيد ( س ) متنكرًا فى الغالب ، خاصة وأن اسمه يبدأ بحرف السين ، وقد جاء ليكون قريبًا من الأحداث ، وليتدخل للإنقاذ فى الوقت المناسب كما حدث ..

كتبت أيضًا عن ( تامر فوزى ) الذى قرر إلغاء العرض المسرحى بعد المأساتين اللتين تسببت فيهما بمحاولته معالجة ( أحدب نوتردام ) من منظور بشع ، وعن ( سارة حمدى ) التى مازالت تنتظر هاتفًا من



مساعد المخرج المزيف ـ الذى هو أنا ـ من أجل حضور اللقاء الشخصى واختبار الكاميرا أمام المخرج الوهمى ـ الذى هو السيد ( س ) ـ

كتبت حتى عن ( شيماء رويتر ) وكيف ساعدتنى فى هذه القضية ..

كتبت وكتبت وكتبت كثيرًا حتى كلّت يدى ، وانتهى الموضوع أخيرًا ..

لم أعد قراءة الموضوع ، قررت أخذه هكذا على علاته ، كما لم أخف هذه المرة من رفض السيدة ( ألفت ) لحكاية السيد ( س ) ، كنت أعرف ـ تمام المعرفة ـ أنها ستتأثر بالموضوع ، وأن آلاف القراء سيتأثرون به كذلك ، وأن هذا التحقيق بالذات سيكون نقطة تحول فى مشوارى الصحفى الذى لم يكد يبدأ ..

ولن تقترح على السيدة ( ألفت ) أمر السلسلة الأدبية الأنيقة ..

وإن كانت الفكرة تلح علىّ حتى الآن !

ماذا كنت أريد أن أسميها ؟!

آه .. تذكرت ..

مغامرات ( س ) !

★ ★ ★

# روايات مصرية للجيب

## سلة الروايات

في كل رواية متعة دائمة !!

محمد سليمان عبد المالك

# مغامرات "س"

# الأعرج

ما الدنيا إلا مسرح كبير ..

وما المسرح إلا دنيا كبيرة ، لها مفرداتها الخاصة ، وسحرها الخاص ..

تعالوا معي إلى عرض مسرحي من نوع خاص ، انتقلت أحداثه من خشبة المسرح إلى خشبة الواقع ..

تعالوا معي ، ولكن احذروا ، فالأعرج عازم على الانتقام الدامي ..

ولا يقل أحد : إني لم أحذره !

مطابع سلسلة التلميذ

الثمن في مصر ٢٠٠ ـم

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم